وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: العلوم الإنسانية

شعبة: التاريخ

عمارة المدن و خرابها على عهد الدولتين الزيرية و الحمادية من خلال كتاب : " نهاية الأرب في فنون الأدب (ج24) لشهاب الدين النويري (ت 733 هـ /1332م)"

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد:

- محجوب عربية
- محمد مطوي

إشراف:

أ.د/ موسى هيصام

الإسم و اللقب	الصفة
أ .د توفيق عبد الصمد مزاري	رئيسا
أ.د موسى هيصام	مشرفا و مقررا
د. حمزة حاجي	مقيّما

السنة الجامعية: 2022/2021


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، اللهم لك الحمد ربنا على ما وفقتنا لإنجاز هذا العمل.

ثم نتوجه بالشكر الجزيل و عظيم الامتنان إلى الأستاذ الدكتور موسى هيصام على ما قدمه لنا من توجيهات ونصائح، وما تلقينا من عنده من صنوف الدعم و حسن الإرشاد و التوجيه ، وعطفه علينا بجميل خلقه وعظيم تواضعه و فيض صبره و حلمه ، فله منا فائق الشكر و التقدير و الامتنان.

كما نتوجه بالشكر إلى الأساتذة الذين قدموا لنا توجيهات و أراء حول الموضوع ومنهم: أ.د مزاري عبد الصمد ، د بوعقادة عبد القادر، د حمزة عبد الصمد ، د حاج كولة عبدالعزيز.

والشكر موصول إلى الأستاذ الدكتور الغالي الغربي مدير مخبر الدراسات المتوسطية عبر العصور الذي فتح لنا أبواب المخبر، وكذا الأخت العاملة بهذا المخبر على ما قدمته في سبيل تحصيل المادة العلمية.



الإهداء

إلى شهداء العائلة ...

إلى الوالدين الكريمين، أطال الله عمرهما .....

إلى العائلة الفاضلة.....

إلى الصديقين الوفيين محمد شراطي و حمزة بن خديجة....

إلى زملاء الدراسة مبارك ، أسامة، بلال ، فريد ...

أهدي إليكم هذا العمل.

محجوب



الإهداء

إلي العزيز الغالي علي قلبي أبي

إلي أمي رحمها الله تعالى

إلي كل أفراد عائلتي

إلي جميع أصدقائي وطلبة التاريخ

إلى أصدقائي المخلصين: محمد و أحمد شريف و يوسف

إلى أعضاء الكشافة الإسلامية الجزائرية فوج " محمد بوضياف" بالزبيرية

أهدي هذا العمل

محمد

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
تق	تقديم
تح	تحقيق
د، تح	دون تحقيق
د، ط	دون طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحتان متتابعتان
ط	طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
د ، ت	دون تاريخ نشر
ه	التاريخ الهجري
م	التاريخ الميلادي
ق، م	قبل الميلاد
ت	تاريخ الوفاة

المقـــدمـــة

مقدمة:

المدن مراكز استقرار الشعوب واستيطانها ، ومكان ممارسة مختلف الأنشطة السياسية والاقتصادية والثقافية ، وهي الأساس الأول لقيام الدول وبناء حضارة عاتية، إلا أن الكثير من مكنونات المدن بالمغربين الأدنى و الأوسط خلال الحقبة الوسيطية لا يزال عليها الكثير من الغبار، ويمس الغموض العديد من جوانبها، والدراسات حولها قليلة، أو ركزت على المراحل الأولى للتأسيس و النشأة و أهملت مراحل التطور ثم الخراب.

ولقد أخذ الجانب السياسي الحيز الأكبر من التدوين التاريخي سواء عند المصادر نفسها أو المراجع المؤلفة حديثا، وقلت تلك الدراسات المتعلقة بتأثير السياسة على المدينة ، فكان نتيجة ذلك محاولة بعض الدراسات الإستشراقية التقليل من شأن المدينة المغربية ، و حاولت إظهارها بمظهر الفوضى و غياب الانسجام.

وتعد المصادر الأدبية من بين المصادر التاريخية التي اهتمت بتاريخ و حضارة المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، ووجد بين طياتها و جنباتها معلومات ساهمت في ترميم الحادثة التاريخية ، بل أكثر من ذلك باحتوائها لمادة تاريخية لم توجد في مصادر التاريخ الخاصة ، ومن بين هذه المصادر كتاب: "نهاية الأرب في فنون الأدب لشهاب الدين النويري (المتوفى سنة 733هـ /1332م)" والذي خصص الجزء الرابع و العشرين من مصنفه لتاريخ بلاد المغرب الإسلامي فاحتوى بين طياته على معلومات حول مدن المغرب خلال العصر الوسيط.

دواعي اختيار الموضوع :

-اهتمامنا بموضوع المدينة المغربية خلال الحقبة الوسيطية .

- الرغبة في الاطلاع على منجزات قبيلة صنهاجة الشمال في المجال الحضاري .

– الرغبة في التعرف على مختلف القوى المأثرة على المدينة .

– الوقوف على إسهام المصادر المشرقية و الأدبية في كتابة تاريخ بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط .

– معرفة تأثير الهجرات الهلالية على مدن المغرب.

– الاهتمام بتاريخ قبيلتي زناتة و صنهاجة .

– و الدافع الأقوى على كل هذه الدواعي هو التأكد من صدقية ما كتبه النويري عن العمارة و الخراب على عهدي الدولتين الزيرية و الحمادية ، و مقارنته مع المصادر الأخرى .

أهداف الدراسة :

هدفت هذه الدراسة إلى:

– تفسير ظاهرة عمارة المدن على عهدي الدولتين الزيرية و الحمادية بالتطرق إلى أسبابها و أنواعها و نتائجها من خلال ما كتبه النويري.

– تفسير ظاهرة خراب المدن وفق الزمان و المجال المعني بالدراسة، و التعرف على أنواعه و أسبابه و مخلفاته.

إشكالية الدراسة:

انطلاقا مما سبق ذكره طرحنا الإشكالية التالية :

إلى أي مدى أسهم النويري من خلال مصنفه في كشف الغموض عن ظاهرتي عمارة و خراب المدن على عهدي الدولتين الزيرية و الحمادية ؟

و للإجابة عن هذه الإشكالية طرحنا التساؤلات التالية :

من هو النويري ؟ و ما قيمة مصنفه ؟ و كيف تطرق لظاهرتي عمارة و خراب مدن الدولتين الزيرية و الحمادية ؟ و هل وافقته المصادر في ذلك ؟

الدراسات السابقة : حسب حدود اطلاعنا فإن الدراسات حول موضوع عمارة و خراب المدن على عهدي الدولتين الزيرية و الحمادية محدودة ، و هناك دراسات مست بعض جوانب الموضوع منها :

_ البشير بوقاعدة، خراب المدن بالمغرب الأوسط و الأدنى بين 296 هـ/909م-547هـ/1152م ، رسالة ماجستير، و تطرق فيها لخراب المدن على عهد الدول الفاطمية والزيرية و الحمادية، و له كذلك مذكرة خطة الحصار العسكري في بلاد المغرب الإسلامي بين القرنين الرابع و الثامن الهجريين (10-14م) ، و تناول فيها الحياة الحربية خلال الفترة المدروسة .

المنهج المتبع :اعتمدنا على المزاوجة بين المنهجين التاريخي و المقارن ، و ذلك بجمع المادة التاريخية من المصادر و مقارنتها ، و استخلاص أوجه التوافق و الاختلاف بين المصادر، كما استعملنا المنهج الوصفي و ذلك في وصف ظاهرتي العمارة و الخراب ، بالإضافة إلى أننا وظفنا في شيء قليل من المتن المنهج الاستقرائي، تجاوزا لقلة المادة التاريخية و ندرتها في بعض أحداث المدن.

الخطة المتبعة في الدراسة :

قسمنا خطة بحثنا إلى مقدمة و ثلاث مباحث و خاتمة و كان فيها الآتي:

المبحث الأول وعنوانه: التعريف بالكاتب والكتاب و الدولتين الزيرية و الحمادية ، و قد تضمن ثلاث عناصر: فالأول ترجمة المؤلف بذكر سيرته الذاتية و العلمية و التطرق لعصره السياسي و الثقافي ، و العنصر الثاني دراسة المصنف و احتوى على الدراسة الظاهرية

و الباطنية و الأهمية العلمية له ، واحتوى العنصر الثالث على التعريف بالدولتين الزيرية والحمادية ، و فيه جزء للدولة الزيرية و الأخر للدولة الحمادية.

وكان المبحث الثاني بعنوان: تأسيس المدن و عمارتها و قد ضم عنصرين : العنصر الأول تضمن مدن المغرب الأوسط و به مدن أشير و المحمدية و الناصرية و قلعة بني حماد ، و العنصر الثاني تكلم عن مدن المغرب الأدنى و فيه المدن التالية : المهدية والمنصورية و طرابلس و القيروان .

وجاء المبحث الثالث بعنوان: تخريب المدن و ضم عنصرين ، الأول احتوى على خراب مدن المغرب الأوسط و به مدن : القلعة وميلة و تهيرت و باغاية و طنبة ، و العنصر الثاني ضم خراب مدن افريقية و تكلمنا فيه عن مدن القيروان و المهدية و طرابلس.

عرض لأهم المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة :

-المصادر:

- كتاب "**نهاية الأرب في فنون الأدب**" لشهاب الدين النويري(ت 733هـ/1333م) واعتمدنا على الجزء الرابع والعشرين من المصنف، ومن خلاله استخرجنا المدن التي تم تعميرها وكذا خرابها، حيث أنه المصدر الأساسي المعتمد عليه في هذه المذكرة .

- **كتاب** "**الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**" لأبي الفضل كمال الدين جعفر الأدفوي (ت748هـ/1347م)، وأفادنا في المبحث الأول وخاصة ترجمة النويري لأنه معاصر له.

- كتاب "**البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**" لابن عذارى المراكشي (ت 712هـ/1312م) ويعد مصنفه من المصادر الأساسية في تاريخ المغرب وقد خدم بحثنا

بشكل كبير لتضمنه مادة علمية حول المدن، وكذا تفصيله في الحوادث و الصراعات السياسية على عهدي الدولتين الزيرية والحمادية .

– كتاب "**العبر وديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**" لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1405م) وقد أفادنا كثيرا في المبحث الثالث و المتضمن الخراب و خاصة موضوع الهجرة الهلالية و تأثيرها علي مدن المغربين الأدنى و الأوسط ، كما أفادنا بمعلومات لم نجدها عند غيره من المصادر.

– كتاب "**الاستبصار في عجائب الأمصار**" لمؤلف مجهول ، عاش في (القرن 6هـ/12م)، ومن الراجح أنه زار مدن المغرب نظرا للمعلومات التي دونها حولها وقد استندنا منه كثير لتكلمه عن المدن التي تم تعميرها ، وهذا الكتاب أكثر مصدر جغرافي استفدنا منه لمعاصرته الفترة الزمنية المقصودة بالدراسة .

– كتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الأفاق** " للإدريسي(ت 560هـ/1166م): وقد أفادنا كثيرا في المبحث الثاني المتضمن العمارة ووصف المدن وأسواقها وبناياتها .

– كتاب "**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من المسالك والممالك**" ، لأبي عبيد الله البكري(ت487هـ/1094م)، وهو مصدر جغرافي لكنه أفادنا بمعلومات تاريخية مهمة حول عمارة المدن .

– **المراجع:**

– كتاب "**الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12**" وهو المرجع الأساسي الذي اعتمدنا عليه في بحثنا ، حيث أمدنا بمعلومات حول المدن واستفدنا منه في تفكيك المادة التاريخية لبعض النصوص .

-كتاب "**الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها** " لبورويبة رشيد ، وقد أفادنا كثيرا في فهم التاريخ العسكري والسياسي لهذه الدولة ، وله كذالك كتاب "**مدن مندثرة** " وأمدنا بمعلومات قيمة حول تاريخ هذه المدن ، تاهرت ، سدراته ، أشير وقلعة بني حماد ، واستفدنا منه بمعلومات قيمة حول مدينتي أشير والقلعة .

- كتاب "**منهج النويري في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**" لعبد الحليم الندوي ، قد وأمدنا بمعلومات مهمة حول سيرة النويري وعصره الثقافي .

صعوبات البحث :

- قلة المادة المصدرية حول العمارة والخراب باستثناء بعض الإشارات الطفيفة من هنا وهناك و تشتت المادة التاريخية .

- تشعب الموضوع وتداخل جزئياته وصعوبة فهم بعض الأحداث.

- اختلاف المصادر حول بعض المعلومات التاريخية .

- صعوبة فهم نوعية العمارة والخراب.

- إشارة المؤلف لهذه المدن إشارات طفيفة ،وكذا تشتت هذه المادة في طيات كتابه وعدم انتظامها.

المبحث الأول: التعريف بالكاتب والكتاب والدولتين الزيرية والحمادية

1-ترجمة المؤلف :

أ- سيرته الذاتية.

ب- سيرته العلمية.

ج-عصره السياسي والثقافي.

1-دراسة المصنف:

أ- الدراسة الظاهرية.

ب- الدراسة الباطنية.

ج-الأهمية العلمية.

2-التعريف بالدولتين الزيرية والحمادية:

أ- الدولة الزيرية.

ب- الدولة الحمادية.

يعتبر شهاب الدين النويري من المؤرخين المشارقة الذين اهتموا بتاريخ بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ، فكتب عن مدن الدولتين الزيرية و الحمادية ، و رغبنا قبل الخوض في ذلك التعريف بهذه الشخصية ، و دراسة مصنفه ، و كذا التعريف بالدولتين الزيرية و الحمادية حتى تكون لنا نظرة شاملة بأساسيات الموضوع .

1ترجمة المؤلف:

أ- سيرته الذاتية:

اختلفت المصادر المترجمة للنويري حول نسبه، فيذكر ابن تغري بردي صاحب النجوم الزاهرة بأنه: « شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب بن عبادة البكري النويري»[1]، في حين يذكره ابن حجر العسقلاني على أنه « أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري»[2]، و وافقه في اسم جده كل من البغدادي[3]و الزركلي[4].

[1] جمال الدين أبو المحاسن ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط 1942، ج09، ص 299.

[2] شهاب الدين احمد بن علي ابن حجر العسقلاني ،**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار المعارف ، الهند ،1931 ،ج1، ص 197.

[3] إسماعيل باشا البغدادي، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، وكالة المعارف، إسطنبول، 1951، م1، ص 108.

[4] خير الدين الزركلي ، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين** ،دار العلم ،لبنان ، ط 1986،م1،ص108.

أما الأدفوي الذي عاصره فيقول مترجما له:« أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الكريم البكري ينعت بالشهاب، النويري المحتد»[1]، وهو نفس التعريف الذي وضعه له كل من الصفدي[2]والقمي[3].

واستنادا إلى ما سبق نجد المترجمين له متفقين في اسم والده الذي هو عبد الوهاب، ومختلفين في اسم جده، غير أن النويري يحسم لنا هذا الخلاف بما كتب في آخر السفر الأول من مصنفه قائلا:

«نجز السفر الأول من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب» على يد مؤلفه فقير رحمه ربه، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري التميمي القرشي، عرف بالنويري عفا الله عنه، وقد أورد العبارة نفسها مؤكدا اسم جده (محمد بن عبد الدائم) في اختتام السفر الرابع والخامس من الكتاب[4].

ومهما يكن من شيء، فإنه استنادا إلى ما كتبه مترجموه، وما كتبه هو بنفسه تتشكل شجرة نسبه على الوجه الآتي: «فهو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري (نسبه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه)[5].

---

[1] أبو الفضل كمال الدين جعفر الأدفوي ، **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد**، تح :سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص 96.

[2] صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،ط 2000، ص 110.

[3] عباس القمي، **الكنى والألقاب**، مكتبة الصدد، طهران، د ت، ج03، ص 273.

[4]عبد الحليم الندوي، **منهج النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب** ، دار الفكر، دمشق سورية ،ط1987 ،ص17

[5] أبو بكر الصديق رضي الله عنه: هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي رضي الله عنه، روى عنه خلق من الصحابة وقدماء التابعين، وأول من آمن من الرجال، وردت أحاديث كثيرة في فضله، بويع بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة، ومن أشهر أعماله حين تولى الخلافة: إرسال جيش أسامة بن زيد رضي الله عنهما، وقتل المتردين، توفي سنة ثلاث عشرة للهجرة وله ثلاث وستون سنة، أنظر شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي(ت سنة 748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة،ط1996، ج سير الخلفاء الراشدون، ص 7 وما بعدها.

التيمي[1] القرشي المعروف والمنعوت بشهاب الدين والمكنى بأبي العباس».

ولد شهاب الدين النويري في 21 من ذي القعدة سنة 677هـ/ الموافق لـ 05 أفريل 1279م[2]، في بلدة قوص[3]، وقيل النويرة[4]، التي ينسب إليها غير أن الراجح في مولده يكون في بلدة قوص، وهو ما ذهب إليه معاصره الأدفوي بقوله :« القوصي المولد والمنشأ»[5]، وكذا الزركلي في قوله: « ومولده ومنشأه بقوص»[6]، ولم تكن النويرة القرية التي ولد فيها أحمد ونشأ، وانما كانت موطن لأجداده[7]، ويبدوا أن لقب النويري هذا لم يطلق على مؤرخنا هذا فقط بل أطلق كذلك على أبيه وعلى آخرين من قريته ومنهم محمد بن قاسم بن محمد النويري الاسكندري.[8]

---

[1] التيمي: نسبة إلى بنو تيم بن مرة وهم بطن من قريش، ومن أشهر رجالهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وطلحة بن عبيد الله و عمر بن عبيد الله، أنظر: هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت 604هـ)،**جمهرة النسب**، تح: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط 1986، ص 79 و ما بعدها.

[2]مصطفى أبو ضيف أحمد، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984، ص 15.

[3] قوص: مدينة بصعيد مصر، وهي حفيلة الأسواق متسعة المرافق كثيرة الخلق لكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين ، لأنها محط للرحال ومجتمع الرفاق، وملتقى الحجاج المغاربة والمصريين، والاسكندريين، ومنها يفوزون، وإليها انقلابهم في صدرهم من الحج، أنظر محمد بن أحمد ابن جبير(ت 614هـ)، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة، المناسك**، رحلة ابن جبير، دار صادر، د ت، ص ص40- 41.

[4] النويرة: هي قرية بالصعيد الأدنى من مصر، كانت قديما من إقليم بهنسا، وهي الآن من محافظة بني سويف شرقي أهناس بنحو ثلاثة، كيلومترا ونصف، أنظر: أبو ضيف، المرجع السابق، ص 10.

[5]الأدفوي، المصدر السابق، ص 96.

[6] الزركلي، المرجع السابق، ص 165.

[7]أبو ضيف، المرجع السابق، ص 10.

[8] محمد بن قاسم بن محمد النويري: هو محمد بن قاسم بن محمد النويري المالقي الاسكندراني، الذي مؤلفاته في ثلاثة مجلدات، ، وإنما أطاله باستطراده من شيء إلى شيء، أنظر: ابن حجر ، المصدر السابق، ج4، ص 142.

وقد كان أبوه كاتبا في مختلف دواوين الدولة المملوكية، وعالما من علماء المالكية بمصر[1]، وقد قضى النويري أيام طفولته في بلدة قوص[2]، وتلقى تعليمة الأول بها.

أورد الزركلي في ثنايا ترجمته له بعض فضائله بقوله: « كان ذكي الفطرة، حسن الشكل، فيه أريحية وود لأصحابه، وله نظم يسير، ونثر جيد، يكفيه أنه مصنف نهاية الأرب في فنون الأدب»[3]، وقد مدحه ابن تغري بردي قائلا: « الشيخ الإمام المؤرخ، كان فقيها فاضلا، مؤرخا بارعا وله مشاركة جيدة في العلوم النقلية »[4].

توفي شهاب الدين النويري سنة 733هـ/1333م، وهو ما ذهب إليه أبوالفدا[5]، والصفدي[6] وآخرون[7] وهو الراجح، في حين يذكر ابن تغري بردي[8] أنه توفي سنة 732هـ/1332م، وسبب ذلك وجع أصاب أطراف أصابع يده وهو ما أورده الأدفوي[9].

ب- سيرته العلمية:

تلقى النويري تعليمه الأول في بلدة قوص التي كانت ملاذ الطلبة من الأرياف المصرية المجاورة ،وتربى في هذه البلدة تربية علمية رصينة، فهي من أعظم مراكز العلم في

---

[1] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري(ت 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط 2004، ج1، ص 08.

[2] الندوي، المرجع السابق، ص 26.

[3] الزركلي، المرجع السابق، ص 165.

[4] ابن تغري ، المصدر السابق، ج1، ص 381.

[5] عماد الدين إسماعيل أبو الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، تح محمد زينهم عزب، دار المعارف، د ت، ج4، ص 129.

[6] الصفدي، أعيان النصر، ص 282.

[7] أنظر: القمى، المصدر السابق، ص 273، البغدادي، المصدر السابق، ص 108، الأدفوي، المصدر السابق، ص97.

[8] ابن تغري ، المنهل الصافي، ج1، ص 381.

[9] الأدفوي، نفسه، ص 97.

تلك الفترة، فدرس بها القرآن الكريم ،والحديث والفقه وغيرها من العلوم ، إذ يذكر الأدفوي شيوخ المؤرخ الذين تلقى العلم على يديهم ومنهم[1]:

– **ابن جماعة:** وهو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة قاضي القضاة بدر الدين، حاكم الإقليميين مصر والشام، محدث فقيه، مولده في شهر ربيع الآخر، سنة تسع وثلاثين وستمائة بحماة، ولي قضاء القدس مدة، ثم نقل إلى قضاة بالديار المصرية وسار في القضاء سيرة حسنة، مات بمصر في ليلة الاثنين الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة[2].

– يعقوب بن أحمد بن يعقوب الحنبلي: والمعروف قديما بابن المقرئ وبابن الإمام والمشهور بابن الصابوني، سمع بدمشق والقاهرة، وأجاز له البلداني وغيره، سمع منه البرزالي سنة ثمانية وستمائة، وحدث بغالب مروياته، تولى مشيخة الحديث بالمنكوتمرية، وكان ذا سمت وعقل وديانة[3].

– الشريف موسى بن علي أبي طالب بن أبي عبد الله ابن أبي البركات العلوي: سمع حضورا من الفخر الأربلي ومن مكرم الموطأ وابن الصلاح والسخاوي، وحدث بالموطأ وصحيح مسلم سكن مصر في سنة 700هـ، ومات وهم يسمعون عليه صحيح مسلم من ذي الحجة سنة 715هـ[4].

---

[1] أبو ضيف، المرجع السابق، ص 12.

[2] تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، 1964، ج9، ص ص 139، 140.

[3] علاء الدين علي رضا، **نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط**، دار الحديث، القاهرة، 1988، ص 380.

[4] ابن حجر ، المصدر السابق، ج4، ص 379.

– زينب بنت منجى: وهي زينب بنت أحمد بن محمد بن عثمان بن المنجا التنوخية سمعت على زينب بنت مكي وغيرها وحدثت، ماتت سنة نيف وخمسين وسبعمائة[1].

– أحمد الحجار، أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن نعم بن الحسين بن علي ابن بيان الحجار الصالحي الشهير بابن الشحنة الحافظ المحدث، من أشياخ الشيخ ابن حجر، توفي سنة 730هـ، وكان يروي الحديث بالجامع الأموي[2].

ومن الغريب أن الأدفوي أو غيره ممن ترجم للنويري لم يذكروا اسم أبيه ضمن شيوخه وقد كان فقيها شيخا، وربما يعود ذلك إلى نشأة الابن بعيدا عن الأب بحكم تقلب هذا الأخير بين دواوين الدولة المملوكية وتنقله بينها.

ومن الملاحظ أيضا تنوع مذاهب شيوخ النويري ،والذي يقودنا إلى تلقيه العلم وفق مذاهب فقهية متنوعة، فعن طريق شيخه أحمد الحجار الحنفي تعرف على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان (ت حوالي 130هـ/767م)[3] ومدرسة الكوفة في الفقه، وأما عن طريق شيخه الشريف موسى بن علي بن أبي طالب بن أبي عبد الله العلوي وكذا أبيه عبد الوهاب تعرف على مذهب الإمام مالك بن أنس (ت 175هـ/795م)[4].

---

[1] ابن حجر ، المصدر السابق، ج2، ص 118.

[2] أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي بن القاضي، **ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال**، مكتبة دار التراث، القاهرة،ط 1977، ج1، ص 29.

[3] هو الإمام أبو حنيفة واسمه النعمان بن ثابت التيمي، فقيه العراق، وأحد أئمة الإسلام والسادة الأعلام، وأحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتنوعة، ذكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة، وروى عن جماعة من التابعين، كان ثقة وكان من أهل الصدق، وكانت وفاته في رجب سنة خمسين ومائة، أنظر: إسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ)، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، ط 1990، ج 10، ص 107.

[4] هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرة بن غيمان، ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، صاحب كتاب الموطأ، أفتى بعدم جواز بيعة أبي جعفر لأنها على الإكراه فتجرأ عليه والي الحجاز جعفر بن سلمان فضربه، روى عن مجموعة من التابعين وتوفي سنة 179هـ، أنظر: ابن فرحون المالكي (ت 839هـ)، **الديباج للمذهب في معرفة أحداث علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، د ت، ج1، ص 82 و ما بعدها.

غير أن تأثره بشيخه ابن جماعة الشافعي، واتخاذ الدولة المملوكية للمذهب الشافعي مذهبا[1] رسميا جعله يرتضي لنفسه الشافعية مذهبا، حتى أصبح من شيوخه و أعلامه، ومخالفا في توجهه المذهبي مذهب أبيه المالكي.

وقد بدأ شهاب الدين النويري حياته الوظيفية، كاتبا في ديوان الإنشاء في الدولة المملوكية بمصر[2]، وبرع في الكتابة بعد تقربه من السلطان الناصر محمد بن قلاوون[3]، وكان الرجل الذي قدمه لهذا الأخير ،هو رافع بن عبادة، من أكابر حاشية السلطان وأقرب رجال البلاط إليه.

عين الناصر النويري نائبا عنه في المدرسة الناصرية والمنصورية وغيرها، كما جعله يدخل إليه ويناقشه في بعض الأمور، إلا أن شهاب الدين استغل هذا التقرب وأراد أن يوقع بابن عبادة[4]، ولم تذكر المصادر التاريخية السبب الذي دفع النويري بالإقدام على هذا العمل.

وفي رواية أخرى يوردها جعفر الأدفوي أن خلافا وقع بينهما وتفاقم حتى أن ابن عبادة ضرب النوري بالسياط[5]، ويزيد على ذلك الصفدي بأنه ضربة بالمقارع نكالا فتخلى السلطان عنه[6].

---

[1] أبو ضيف، المرجع السابق، ص 14.

[2] نفسه، ص 15.

[3] هو السلطان الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد ابن سلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي، سلطان الديار المصرية وابن سلطانها، مولده بالقاهرة في سنة 684هـ/1285م بقلعة الجبل، تولى الحكم في 693هـ/ 1293م، وهو السلطان التاسع من ملوك الترك بالديار المصرية، أنظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج8، ص 41.

[4] عامر حمد جدعان الديلمي، **حياة شهاب الدين النويري ومنهجه في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 73، كانون الثاني 2020، ص 633.

[5] االأدفوي، المصدر السابق، ص 97.

[6] صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي(ت 674هـ)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق سورية، ط1998،ص281.

وما هي إلا مدة قصيرة من الزمن حتى زالت الخلافات القائمة بينهما فيعفو عنه ابن عبادة وتعود العلاقات إلى مجراها، فيرتقى النويري بعد ذلك حتى وصل إلى نظارة الجيش بطرابلس الشام، ثم الدقهلية و المرتاحية[1].

بعدها ترك المهام الحكومة حيث ذكر ذلك في مقدمة مصنفه قائلا: «ثم نبذتها وراء ظهري، وعزمت على تركها في سري دون جهري»، وزوال مهنة الوارقة كونه متضلعا في العلوم الدينية وخاصة علم الحديث، فيذكر الصفدي « أنه كتب البخاري ثماني مرات، وكان يكتب النسخة ويقابلها، وينقل الطباق عليها ويبدلها ويبيعها بسبع مئة درهم بألف، وباع تاريخه مرة للقاضي جمال الكفأة بألفي درهم»[2].

وكان يكتب في النهار الطويل ثلاث كراريس، وظل يمارس هذه المهنة التي كانت معروفة في ذلك الزمان فيقتات منها، وفي هذه المرحلة اشتغل بالمطالعة العامة[3] لمختلف العلوم والفنون وجميع الكتب المتداولة، استعداد لتأليف كتابه المشهور نهاية الأرب في فنون الأدب.

- **ج عصره السياسي والثقافي:**

ولد النويري في أواخر القرن السابع الهجري، الذي شهد تطورات سياسية هامة، غيرت مجرى التاريخ الإسلامي ، ويعود سبب هذه التغيرات إلى الغزو التتاري له، وما أعقبه من ويلات ودمار وخراب، فسقطت عاصمة الخلافة العباسية بغداد[4]بأيديهم سنة 656هـ/1258م، وانهار الحكم الإسلامي بها.

[1]الصفدي،أعيان العصر ، ص 282.

[2]نفسه ، ص 281.

[3]النويري، المصدر السابق، ج1، ص5.

[4] هي مصر الإسلام، وبها مدينة السلام، ولها الخصائص والظرافة، والقرائح واللطافة، هي أشهر من أن توصف، وأحسن من أن تنعت، وأعلى من أن تمدح، أحدثها أبو العباس السفاح ثم بنى المنصور بها مدينة السلام وزاد فيها الخلفاء من

وقد اكتسبت مصر الشرعية الدينية بانتقال الخلافة إليها في 659هـ/1261م بعد مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله على يد المغول[1]، وفي ظل هذه الظروف والمتغيرات عاصر النويري حكم دولة المماليك البحرية (648هـ-784هـ/ 1250-1382م)[2] ويعود الفضل في تأسيسها إلى شجرة الدر، وقد عاش حياته في عهد سبعة من سلاطين المماليك البحرية وهم:

- المنصور سيف الدين قلاوون (1279-1290).
- لأشرف صلاح الدين طليل بن قلاوون (1290-1293).
- الناصر محمد بن قلاوون (1294-1293).
- العادل زين الدين كتبغا (1296-1294)
- المنصور حسام الدين لابين (1298-1296)
- الناصر محمد بن قلاوون (1308-1298)
- المظفر ركن الدين يبرسالجاشنكير (1309-1308)
- الناصر محمد بن قلاوون (1340-1309)

وتميز حكمهم عموما ب:

أنهم خالفوا قاعدة المماليك الذي لم يؤمنوا بمبدأ الوارثة في الملك مطلقا، وبقي الحكم في بيتهم (بيت قلاوون) متوارثا[3].

- استقرار حكمهم في الشام بعد فترة الاضطرابات.
- أرسوا القواعد التي سار عليها حكم المماليك حتى أواخر ملكهم.

بعده، أنظر: محمد بن أحمد البشاري المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1991، ص 119.

[1] جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية، د م، ط 1967، ج02، ص 52.

[2] أبو ضيف، المرجع السابق، ص 18.

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور، **العصر الممالكي في مصر والشام**، ، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1976، ص 103.

- توسع نشاطهم التجاري.
- اكمال مسيرة الجهاد ضد جبهات متعددة حيث حاربوا التتار والصليبين[1].
- أبرموا العديد من المعاهدات السياسية والاتفاقيات الاقتصادية.
- الهدوء الداخلي باستثناء بعض الفترات القصيرة.

كل هذه الظروف السياسية أثرت على شخصية النويري وساهمت في تبلور أفكار بطريقة أو بأخرى، اذا علمنا أنه وصل إلى البلاط السلطاني وأصبح أحد رجاله.

لقد أثرت الظروف والعوامل السياسية على الجوانب الثقافية بشكل طردي في عصر النويري، فبسبب الغزو المغولي للقسم الشرقي من العالم الإسلامي أخذت مراكز الحضارة الإسلامية تتزحزح نحو الغرب، فتزعمت مصر وخاصة القاهرة الحركة الفكرية في العالم الإسلامي[2] ، اذا أصبحت موئل العلم والأدب وهاجر إليها العلماء والأدباء من كل صوب' وأضحت الملجأ الوحيد لأبناء اللسان العربي في فرارهم من وجه المغول عند اكتسابهم خرسان وفارس والعراق[3].

ونتيجة لذلك تميز العصر المملوكي بأدب حافل وانبعث في أرجائه حركة جمع العلوم وتدوينها في أسفار ضخمة سميت ب (حركة الموسوعات)[4]، وغاية هذه الحركة جمع نتاج العلماء القدماء وما وضعوه في مختلف العلوم والفنون من كتب خوفا من ضياعها على أيدي الغزاة.

---

[1] عاشور، المرجع السابق ، ص 104.

[2] كراتشكوفسكي اغناطيوس، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر صلاح الدين عثمان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963، ج1، ص 335.

[3] عبد الرحمان الندوي، المرجع السابق، ص 62.

[4] كراتشكو فسكي، نفسه، ص 399.

كما انتشرت دور العلم والمؤسسات التعليمية كجامع الظاهر، وجامع السلطان قلاوون وجامع أق سنقر، والمدرسة الظاهرية، والخليلية والمنصورية فضلا على أن هناك العديد من الخانقاه البيبرسية.

إن هذا التنوع الثقافي والفكري، ساهم بشكل فعال في تكوين شخصية النويري العلمية.

2ترجمة المصنف(الكتاب):

أ- **الدراسة الظاهرية:**

- المؤلف: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري المتوفى سنة 733هـ/1333م.
- عنوان الكتاب: نهاية الأرب في فنون الأدب.
- عدد الأجزاء 33 جزء.
- الطبعة الأولى.
- **المحققين:**

1. مفيد قمحة الأجزاء، 1، 2، 13، 14.
2. حسن نور الدين الجزء 3.
3. يحي الشامي: الأجزاء 4، 5، 11.
4. علي بوملحم: الأجزاء 8، 7، 6.
5. محمد رضا مروة: الجزء 9.
6. يوسف طويل: الجزأين 15، 10.
7. علي محمد هاشم: الجزأين، 16، 17.
8. عبد المجيد ترحيني: الأجزاء 18، 19، 21، 22، 23، 24، 25.
9. عماد حمزة، الجزء 20.

10. نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز: الأجزاء 26، 27، 28، 29، 30، 31.
11. إبراهيم شمس الدين، الجزأين 32، 33.

- دار النشر: دار الكتب العلمية.
- مكان النشر: بيروت، لبنان.
- سنة النشر: 2004.
- الحجم: موسوعة.
- وصف الواجهة الأمامية: الواجهة سوداء مزخرفة بإطار كبير أصفر تتللها بعض الرسومات باللونيين الأخضر والأصفر، كتب عليها عنوان الكتاب بخط غليظ، ودون تحته معلومات عن المؤلف ودار النشر ومكان الطبع.

ب- الدراسة الباطنية:

يعد كتاب النويري "نهاية الأرب في فنون الأدب" من أهم الموسوعات التي ألفت في القرن 8هـ/14م نظر للمعلومات التي احتواها في شتى العلوم و الفنون، وكان المؤلف قد وضح لنا دوافع تأليف كتابه إذا يقول: « وبعد فمن أولى ما تدبجت به الطروس والدفاتر ونطقت به الأقلام عن أفواه المحابر... فمن الأدب الذي ما حل الكاتب بواديه ألا وعمرت بواديه، ... فامتطيت جواد المطالعة وركضت في ميدان المراجعة وحيث ذل لي مركبها ،وصفا لي مشربها أثرت أن أجرد منها كتابا استأنس به وأرجع إليه وأعول في ما يعرض لي من المهمات عليه»[1].

قسم النويري مصنفه إلى خمسة فنون، وكل فن إلى خمسة أقسام وفق الترتيب الآتي:

[1] النويري، المصدر السابق، ج1، ص 05.

الفن الأول في السماء والآثار العلوية، والأرض والمعالم السفلية: ويشتمل على خمسة أقسام:

- القسم الأول: في السماء وما فيها.
- القسم الثاني: في الآثار العلوية.
- القسم الثالث: في الليالي، والأيام والشهور والأعوام والفصول والمواسم والأعياد.
- القسم الرابع: في الأرض والجبال والبحار والجزائر والأنهار والعيون.
- القسم الخامس: في طبائع البلاد، وأخلاق سكانها وخصائصها، والمباني القديمة والمعاقل والقصور والمنازل.

الفن الثاني في الإنسان وما يتعلق به، ويشتمل على خمسة أقسام:

- القسم الأول: في اشتقاقه، وتسمية وتنقلاته، وطبائعه، ووصف أعضائه، وتشبيهها، والغزل، والنسيب، والمحبة، والعشق، والهوى، والأنساب.
- القسم الثاني: في الأمثال المشهورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب، واخبار الكهنة، والزجر، والفأل والطيرة، والفراسة والذكاء والكنايات والأحاجي والألغاز.
- القسم الثالث: في المدح والهجو والمجون والفكاهات والملح والخضر، والمعاصرة والفحصان والقيان ووصف آلات الطرب.
- القسم الخامس: في الملك، وما يشترط فيه، وما يحتاج إليه، وما يجب له على الرعدية وما يجب الرعية عليه وما يتصل به بذكر الوزراء، وقادة الجيوش، و أوصاد السلاح وولاة المناصب الدينية، والكتاب، والبلغاء.

الفن الثالث :في الحيوان الصامت، ويشتمل على خمسة أقسام:

- القسم الأول: في السباع، وما يتصل بها من جنسها.

- القسم الثاني: في الوحوش والظباء.
- القسم الثالث: في الفيل، وفي البغال والحمير، والابل والبقر والغنم.
- القسم الرابع: في ذوات السموم القواتل، وفيما هو ليس بقاتل بفعله، من ذوات السموم.
- القسم الخامس: في الطير، وفي السمك.

الفن الرابع في النبات: ويشتمل على خمسة أقسام:

- القسم الأول: في أصل النبات
- القسم الثاني: في الأقوات والخضراوات والبقولات.
- القسم الثالث: في الفواكه المشمومة.
- القسم الرابع: في الرياض والأزهار.
- القسم الخامس: في أصناف الطيب والبخورات و الغوالي والنحود والمستقطرات والأدهان.

الفن الخامس في التاريخ: ويشتمل على خمسة أقسام :و هو صلب اهتمامنا في هذه الدراسة:

- القسم الأول: في مبدأ خلق عليه السلام وحواء ، وأخبارهما، ومن كان بعد آدم إلى نهاية خبرا أصحاب الرس.
- القسم الثاني: في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام، وخبره مع نمرود، وقصة لوط وخبر إسحاق، ويعقوب، وقصة يوسف وأيوب وذي الكفل وشعيب عليهم السلام.
- القسم الثالث: يشتمل على قصة موسى بن عمران عليه السلام وخبره مع فرعون، وخبر يوشع، ومن بعده وحزقيل، والياس واليسع وميلا وأشمويل وطالوت وجالوت، وداود، وسليمان، وقصة يونس بن متى وزكريا ويحي وعمران ومريم عليهم السلام.

- القسم الرابع: في أخبار ملوك الأصقاع، وملوك الأمم، والطوائف، وخبر سيل العزم، ووقائع العرب في الجاهلية.
- القسم الخامس: في أخبار الملة الإسلامية، وذكر شيء من سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبار الخلفاء من بعده رضي الله عنهم، وأخبار الدولة الأموية و العباسية والعلوية، ودول ملوك الإسلام، وأخبارهم ، وما فتح الله سبحانه وتعالى عليهم[1].

ومعنى عنوان هذا الكتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" فنهاية هي غاية كل شيء وآخره، والأرب من الأرب وهو البغية والحاجة الملحة، والفنون جمع فن وهو الإبداع، والأدب هو الجميل من النظام والنثر، وعليه يصير المعنى إلى نهاية البغية أو الحاجة الملحة في فنون الأدب.

لخص النويري كتبا كثيرة ،واختصر أخرى في كتابه ،هذا ومن أهمها:

- كتاب:"الأغاني" لأبي الفرج الأصفهاني وذكره في الجزئين الرابع والخامس وفي الجزئيين الثالث والسادس في مواضع متفرقة[2].
- كتاب :"الأحكام السلطانية و الولايات الدينية" للماوردي ،وذكر شيئا من كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي.
- "سيرة ابن هشام "في الجزئين السادس عشر والثامن عشر في مواضيع متفرقة.
- "طبقات ابن سعد ومغازيه "،وكذا "الكامل في التاريخ" لابن الأثير و"مروج الذهب و معادن الجوهر"للمسعودي و"معجم البلدان" لياقوت الحموي وقد ذكره في مواضيع متفرقة.

[1] النويري، المصدر السابق، ج1، ص 15.

[2] الندوي، المرجع السابق، ص 181

أما مصادره التي اعتمد عليها في نقل محتوى مادته التاريخية فهي:

1-روايته عن الزهري عن ربيعة بن عباد الديلي.

2-روايته عن أبو خالد عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري ونقل عنه بعض أخبار فتح بلاد المغرب.

3-روايته عن الواقدي: في ذكر أخبار الولاة إلى نهاية الدولة الأغلبية بالمغرب الإسلامي.

4-روايته عن الرقيق القيرواني.

5-روايته عن ابن شداد عبد العزيز الصنهاجي: في تاريخ المغرب والأندلس.

6-روايته عن ابن حزم صاحب نقط العروس.

- **تقييم الجزء الرابع والعشرين: من مصنفه "نهاية الأرب في فنون الأدب" محل دراستنا في هذه المذكرة:**

استهل المؤلف ديباجته بالبسملة وعنونه بـ: "في أخبار افريقية وبلاد المغرب، وصف واليها من العمال ،ومن استقل منهم بالملك وسميت أيامهم بالدولة الفلانية"، حيث ذكر النويري حركة الفتوح لبلاد المغرب ثم تطرق إلى فترة حكم الولاة الأمويين ثم العباسيين، بعدها تكلم عن أخبار الأغالبة بالمغرب الأدنى، ثم ذكر أخبار دولة بني زيري، تلتها دولة المرابطين فالموحدين، وقد ذكر في هذا الجزء شيئا من أخبار ثورات الطالبين بالمشرق.[1]

إن القارئ والمتفحص لهذا الجزء من الموسوعة يرى الكم الهائل من المعلومات حول تاريخ بلاد المغرب، ويشاهد الترتيب الزمني لمختلف أحداثه وهو ما لا نجده في العديد من المصادر المؤرخة لتاريخ بلاد المغرب، ومما يزيد من قيمة هذا الجزء أن المؤلف لم يذكر اختلاف الروايات وإنما يضم الرواية الراجعة مباشرة.

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص213.

اعتمد النويري في ذكر أخبار دول المغرب على المصادر المعاصرة لكل دولة فمثلا في تاريخ الدولة الزيرية، استند على كتاب الجمع والبيان في أخبار القروان فيمن فيها وفي سائر بلاد المغرب والأديان، لأبي محمد عبد العزيز ابن شداد بن الأمير تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وتجاهل روايات المصادر الأخرى التي تكلمت عن هذه الدولة، كما انفرد بذكر بعض الأخبار التي لا نجدها في مصادر أخرى دونت لبلاد المغرب.

وزيادة على ذلك فإن القارئ لهذا الجزء يخيل إليه أنه مرجع دون حديثا، نظرا لسهولة الأسلوب ووضوح الأفكار وتسلسلها وبساطة المصطلحات في هذا الجزء.

غير أن النويري ذكر بعض الأخبار والقصص المبالغ فيها ومن ذلك قوله عن زيري: "أنه زرق من الأولاد ما يزيد على المائة، كلهم أنجاد فرسان كرماء كان يكتفي بهم في بعض حروبه"،[1] ونحن نعلم أن من دهائه الحربي والعسكري ما يمنعه أن يأخذ أولاده كلهم معه إلى معركة وهذا لا يتقبله منطق سليم، وكذا قوله" ورجع أبو الفتوح وملك فاس وسجلماسة وبلاد الهند" والراجح في ذلكّ أنها بلاد الهبط.

كما أنه يكون قد جانب الصواب حين اعتذر عن قلة معلوماته عن بني مرين معللا ذلك بقوله: وإنما اقتصرنا من أخبارهم على هذه السدة لانهم منعوا في ابتداء دولتهم من ان يؤرخ لهم او تدون أخبارهم وقتلوا محمدا بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الآبار... واعدموا ما وجدوه عنده" ومعلوم أن ابن الأبار قتله المستنصر الحفصي.

و بالرغم من هذا يبقى لهذا الجزء قيمته العلمية والتاريخية كمصدر مهم لدراسة تاريخ بلاد المغرب الإسلامي.

[1] النويري، المصدر السابق ،ص91.

- أهمية المصنف:

زودنا النويري رحمه الله في موسوعته بمقتطفات ومقتبسات وملخصات من التراث العلمي والفني الذي تركه القدماء في جميع الفنون الأدبية الرائجة إلى عصره ابتداء من فن الجغرافية إلى التاريخ والسيرة والنبات والحيوان، كما يساهم في حفظ التراث الأدبي العربي من هجمية التتار.

تفضل الكتاب على اللغة العربية بما جمعه لها من أمثال سائرة ونوادر وخطاب ونسبه وتاريخه وحبه وهواه وميوله وأهدافه.

انفرد هذا المصنف في تبويبه وتقسيمه بإحاطته بكل الأخبار من خلق الكون إلى غاية عصر المؤلف.

يعد أحد أهم الكتب الجامعة الهامة وعمدتها.

1-التعريف بالدولتين الزيرية والحمادية:

أ- الدولة الزيرية:

ينتسب الزيريون إلى قبيلة صنهاجة البربرية التي كانت على قول ابن خلدون «من أوفر قبائل البربر، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر»[1]، وكان أول من دخل منهم بلاد المغرب المثنى بن المسور طمعا في ملك أحفاده لهذه البلاد، فظلوا مدة من الزمن يأملون في ذلك حتى ولد زيري بن مناد الصنهاجي فلما تكامل شبابه وقوى أمره جمع جيشا وغزا به بلاد زناته[2]، فغارت منه بطون صنهاجة الأخرى، ولما يئست منه اجتمعت

[1] عبد الرحمان بن خلدون، **كتاب العبر، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم، البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961، ص 309.

[2] الهادي روجي ادريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ط1، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992، ج1، ص 39.

لقتاله، وبعد حرب طويلة انتصر زيري على أعدائه وانتشرت سمعته في المغرب كله وأصبح زعيم قبيلة صنهاجة.

فأسس حينئذ مدينة أشير سنة 324هـ/935م[1] واجتمع حوله خلق كثير، ثم شارك زيري في قمع ثورة أبي يزيد ضد الفاطميين[2]، والتي كادت أن تقضي على وجودهم وفي الاستلاء على مدينة فاس وغزو المغرب الأقصى تحت قيادة جوهر الكاتب، وكفائه المعز الفاطمي بأن ضم إلى ملكه بالمغرب الأوسط مدينة تاهرت، وهكذا ظهر زيري في مسرح الأحداث أواخر الحكم الفاطمي ببلاد المغرب.

بعد موت زيري خلفه ابنه بلكين على رأس صنهاجة ،فحارب زناتة، وسيطر على المغرب الأوسط حتى ما وراء وادي ملوية، وعندما انتقل الفاطميون إلى مصر عين المعز الفاطمي بلكين خليفة على افريقية والمغرب وأوصاه ألا يرفع السيف عن البربر[3] ولا يرفع الجباية عن أهل البادية ولا يولي أحدا من أهل بيته وعهد اليه أن يفتح أمره بغزو المغرب.

فنزل قصر المعز بالمنصورية وتولى افريقية من سنة 972/361م إلى سنة 984/373م ومن أهم أحداث عصره: قتل زيادة الله بن القديم، ووفاة الخليفة الفاطمي المعز وغزو المغرب الأقصى، ثم جاء بعده المنصور (373-386هـ/984-996م) ثم باديس (386-406هـ/996-1016م)، وعموما يعتبر عصر هؤلاء عهد ازدهار الدولة الزيرية[4]، ومواصلة تثبيت ركائزها، وإيجاد حلول لمشاكلها ومن مميزات هذا العصر ثورة حماد في المغرب الأوسط، والصراع السني الشيعي.

---

[1] النويري، المصدر السابق، ج24، ص 88.

[2] رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص 09.

[3] تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، **اتعاظا الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا**، مطابع الأهرام التجارية، قليوب مصر ،دت،ج1،ص101.

[4] الهادي روجي ادريس، المرجع السابق، ج 1، ص 73.

بعد ذلك جاءت مرحلة أوج الدولة وازدهار وهذا في عهد المعز بن باديس (407هـ-422هـ/ 1016-1051م) والذي نجح في إخضاع حماد بن بلكين وتصالح معه[1]، وأكبر حدث في عهده القطيعة المذهبية والسياسية مع الفاطميين تلته الغزوات الهلالية.

ثم مرحلة الضعف والانحدار في عهد الأمراء (تميم 454-501هـ/1062-1108م) والناصر (454-481هـ/1062-1088م) والمنصور (481-498هـ/1088-1105م) ثم مرحلة الانهيار في عهد الأمراء يحي (501-509هـ/1108-1116م) وعلي (509-515هـ/116-1121م) ثم الحسن (515-543هـ/1121-1148م) (أنظر الملحق 3) ومن مميزات هاذين العصرين: الحروب القبائل الهلالية، ومحاولة استعماله زناته في صف الزيرين والتنافس الزيري الحمادي، ومقاومة الغزو النورماني ثم الدخول في حكم الدولة الموحدية.

تلقب حكام بنو زيري بلقب الأمير، وكان هذا الأخير متحكما في شؤون الدولة وممسكا بزمام السلطة المدنية والعسكرية والقضائية والمالية وتجرى له عملية البيعة بعد دفن الجالس على العرش، ويساعد هؤلاء الأمراء نواب يحملون لقب عامل، وعلى رأس كل بلدة وال، و قد ضربت السكة الزيرية في عهد المعز بن باديس سنة 441هـ/1049م، وأمر بتعويض النصوص الشيعية المكتوبة عليها بنصوص سنية.

قسم المجتمع الزيري إلى ثلاث طبقات: فأولها طبقة الخاصة وتتكون من الصنهاجين والعرب والشيعة ،ومنهم كبار رجال الدولة، ونواب الأمير، وتضم كذلك رؤساء القبائل الهلالية والأشراف وزعماء القبائل البربرية ،ثم طبقة وسطى متكونة من أهل الريف وأبناء القبائل المرتحلة وفي الأسفل طبقة العبيد من السود والبيض.

[1] عبد الحليم عويس، **دولة بني حماد صفحة رائعة ضد التاريخ الجزائري**، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، ط 1991، ص 71.

مارس الزيريون النشاط الزراعي، ومن أهم منتجاتهم القمح والشعير[1]، وكانت مدينة باجة أغنى مدينة في بلاد المغرب من حيث الحبوب، وكثر إنتاج زيت الزيتون، إذ كانت في كل قرية من قرى الساحل معصرة زيت، كما انتشرت صناعة النسيج والخزف والزجاج.

ب- الدولة الحمادية:

يرجع الفضل في قيام الدولة الحمادية إلى حماد بن بلكين، والذي عقد له باديس ابن أخيه ولاية أشير فخرج عاملا عليها، وأعطاه خيلا كثيرة وكسى جليلة[2]، وبسبب انتصاره على المعز بن زيري بن عطية سنة 395هـ/1004م تولى المغرب الأوسط كله وأذن له باديس بتأسيس القلعة، واستقر بها لمناعتها وكان من حين إلى آخر يزور أشير فأصبح حماد صاحب مدينتين حصينتين في المغرب الأوسط، فعظم شأنه هذا ما أوقد نار التحاسد والغيرة في نفس أعدائه الذين أخذوا يطعنون فيه ويحرضون باديس عليه[3].

ونتيجة لذلك كتب باديس إلى حماد وطلب منه أن يتخلى عن قسنطينة وتيجس[4] لهاشم بن جعفر وأمر هذا الأخير يتولى هذه الأعمال، فخرج هاشم هذا وإبراهيم أخو حماد سنة 1015 لهذه الأعمال، وأخذ إبراهيم معه أربعمئة ألف دينار وناسه وعبيده، بخدعة التحق إبراهيم بحماد وسار إليه واتفق الأخوان على الثورة ضد باديس ودخلا معه في حرب أسفرت عن تأسيس الدولة الحمادية.

---

[1] روجي ، المرجع السابق، ج2، ص 240.

[2] رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 18.

[3] نفسه، ص 21.

[4] مدينة أولية شامخة، تقع في الطريق بين القيروان و القلعة ، عليها سور صخر رومي و لها أرباض وبها قبائل نفزة و ورغروسة و بعض زناتة، أنظر: البكري ، المصدر السابق ،ص ص 53،63.

حكم هذه الدولة تسعة أمراء(أنظر الملحق رقم 4) اختلفوا قوة وضعفا وأسلوب حكم، ما يقارب قرنا ونصف قرن منذ أن اختط حماد القلعة إلى سقوط الدولة على يد عبد المؤمن بن علي.

ويعد العهد الأول من الحكم الحمادي عصر تأسيس الدولة وتثبيت أركانها وحكم فيه أربعة من الأمراء هم: حماد بن بلكين (361-373هـ/972-984م) والقايد بن حماد (419-446هـ/1028-1054م) ومحسن بن القايد (446-447هـ/1054-1055م) وبلكين بن محمد بن حماد (447-454هـ/1055-1062م) ومن مميزات هذا العصر الحروب الزيرية الحمادية، وإعلان استقلال الدولة، ومحاربة القبائل الهلالية وكذا الزناتية، ومقاومة التوسع المرابطي.

ثم جاء بعده عصر الازدهار والرقي الحضاري في عهد كل من: الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1089م) والمنصور بن الناصر (481-498هـ/1088-1105م) وباديس بن المنصور (408-1105م) والعزيز بن منصور (498-515هـ/1105-1121م) ومن أهم أحداث هذا العصر: تأسيس بجاية وصد التحالف المرابطي الزناتي.

وفي عهد يحي بن العزيز (515هـ- 547هـ/1121-1125م) انهارت الدولة الحمادية نتيجة الظروف المختلفة المحيطة بها وسقطت على يد الموحدين.

ذكر العديد من الجغرافيين أن بلاد المغرب الأوسط كانت مزدهرة اقتصاديا خلال العهد الحمادي، فنشطت الزراعة بمختلف أنواعها من حبوب وبقول وكروم وزيتون[1] وتطورت الصناعة، واشتهرت العديد من المراكز التجارية الحمادية على غرار بجاية والقلعة وتاهرت والمسيلة.

[1] عويس، المرجع السابق، ص 223.

شهد العصر الحمادي نشاطا فكريا وثقافيا مفعما فتطورت العلوم النقلية والعقلية في مختلف المراكز الحضارية وأصبحت بلاد بني حماد موئل الطلبة والعلماء، وبرز الفقهاء والعلماء والشعراء والمؤرخون والأطباء والرياضيون ببجاية والقلعة وأشير وطبنة و الزاب والمسيلة.

المبحث الثاني: تأسيس المدن وعماراتها.

1-مدن المغرب الأوسط:

أ- أشير.

ت- المحمدية.

ث- الناصرية.

د- قلعة بني حماد.

2-مدن المغرب الأدنى:

أ- المهدية.

ب- المنصورية.

ج-طرابلس.

د- القيروان.

أورد شهاب الدين النويري معلومات مهمة عن عمارة المدن على عهد الدولتين الزيرية والحمادية، وقبل الخوض في ذلك رغبنا في التعريف بمصطلحي العمارة والمدينة.

فالعمارة مشتقة من عمر، وهي نقيض الخراب، ويقال عمر المكان، أي سكنه وجعله عامرا، وفي تنزيل الحكيم " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"[1]، والمدينة كما يعرفها ابن منظور: "هي الحصن يبنى في أصطمة من الأرض، وكل أرض يبنى عليها حصن في أصطمتها فهي معينة" [2].

ولعمارة المدن أهمية كبرى فعدها ابن الأزرق الركن الخامس في أركان الملك،" بعد نصب الوزير وإقامة الشريعة وإعداد الجند وحفظ المال"[3]، ومظهر مهم يدل على تحضر الدولة فالحضارة تتفاوت بتفاوت العمران "فمتى كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل"[4]، ومن هذا المنطلق سنتعرف في هذا المبحث على عمارة مدن الدولتين الزيرية والحمادية من خلال الجزء الرابع والعشرين من مصنف النويري.

1-مدن المغرب الأوسط:

أ- أشير:

ذكر النويري عمارة مدينة أشير خلال تطرقه لأخبار زيري بن مناد الصنهاجي، فبدأ بأحداث تأسيس المدينة قائلا: " ولما نظر زيري إلى موضعها قال لأصحابه: هذا موضعكم الذي يصلح أن تسكنوه" ، و بدأ بالبناء في سنة 324هـ/935م وذلك سنة أيام القائم بأمر

[1] سورة هود، الآية 61.

[2] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (ت 711هـ/1271م)، **لسان العرب**، د ت، بيروت 1972، ج 17، ص 288.

[3] .أبوعبد الله ابن الأزرق،(ت896هـ/1491م)، **بدائع السلك في طبائع الملك** ، تح محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب،1977،ج1،ص223.

[4] ابن خلدون، المصدر السابق،ص465.

الله الفاطمي(أبو القاسم)[1]، مستعينا في ذلك بالدعم الذي تلقاه من هذا الأخير، حيث سمح بالاستعانة بمختلف الحرفيين من بنائين و نجارين تم جلبهم من سوق حمزة و المحمدية (المسيلة) و طبنة" و أمر بإحضار البنائين و النجارين من حمزة والمسيلة وطبنه، وبعث إلى القائم بأمر الله في طلب الصناع وشرع زيري في البناء إلى أن كملت المدينة"[2].

ثم أخبرنا عن عملية التعمير البشري للمدينة بعد استكمال بنائها حيث يقول: "ثم خرج زيري إلى طبنه والمسيلة وحمزة[3]، فنقل وجوه الناس إلى مدينة أشير فعمرت وجاءت حصنا منيعا"[4]، و في عهد بلكين[5] وصلها ناس من تلمسان:" فحصر تلمسان مدة فنزلوا على حكمه، فعنا عنهم من القتل، ونقلهم إلى أشير"[6].

وقد عمرت مدينة أشير بأسرى الحروب بعد إطلاق سراحهم فاختاروا هذه الأخيرة مستقرا لهم، كما يقول النويري عن معركة وقعت في أمسان على مرحلتين من تيهرت، فجرت حرب بين زيري بن عطية الزناتي وعامل أشير حماد بن يوسف، فانتصر زيري " وأطلق خلقا كثيرا ممن أسر في المعركة أو لجأ إلى تيهرت، فمضوا حتى وصلوا إلى أشير"[7].

---

[1] هو أبو القاسم محمد بن المهدي عبيد الله، ولد بسلمية، ورحل مع أبيه إلى المغرب، وعهد إليه من بعده، فلما توفي أبوه تسلم الخلافة، وفي عهده خرج ابن طالوت في طرابلس، وجهز جيشنا إلى المغرب وآخر إلى مصر، أنظر: المقريزي، المصدر السابق، ص 74.

[2] النويري، المصدر السابق، ص 88.

[3] حمزة هي مدينة بالمغرب الأوسط تقع في الطريق من أشير إلى مرسى الدجاج، بناها و استقر بها حمزة بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، يحيط بها سور وخندق وبها أبار عذبة وهي حينها لصنهاجة، أنظر، البكري، المصدر السابق، ص 65.

[4] النويري، نفسه، ص 89.

[5] بلكين، زعيم قبيلة صنهاجة، ولاه المعز ملك المغرب نيابة عنه عند خروجه إلى مصر سنة 371هـ/981م ،توفي في سنة 373هـ/ 983م، وخلفه على المغرب ابنه المنصور، أنظار المقريزي، نفسه، ص 100.

[6] النويري، نفسه، ص 94.

[7] نفسه، ص 104.

ويخبرنا النويري أن السلطة الزيرية قد ساهمت بشكل كبير في عمارة أشير لكونها عاصمة لإقليم كبير، حيث أن عملية تنصيب العمال عليها يرافقها دعم مالي ، و مدد عسكري، وخير دليل على ذلك تولية حماد ابن بلكين عليها إذ يقول مؤلفنا:" وعقد أبو مناد ولاية أشير لعمه حماد بن يوسف بن زيري، وأعطاه خيلا كثيرة وكسا، ثم اتسعت أعماله وعظم شانه وكثرت عساكره واجتمعت أمواله"[1]، كما أن شيوخ تلكاتة وهم بطن الأسرة المالكة قد أقاموا بأشير "وأما كرامت بن المنصور فإنه أقام بمدينة أشير ومعه من تلكاتة وغيرهم من قبائل صنهاجة"[2]، ونحن نعلم أن إقامة وجوه القوم في مدينة ما له تأثيرات إيجابية عليها، ويدل أيضا على رغبة السلطة في عمارة وتعمير هذه المدينة.

كما يعلمنا النويري عن إحاطتها بسور إذ يقول متحدثا عن حصانتها : "وجاءت حصنا منيعا ،لا يقاتل إلا من شرقيها ،يحميها عشرة من الرجال، ولو لم يكن عليها سور لاستغنت بعلوها عن السور"[3]، ثم يواصل التحدث عن عملية التعمير الاقتصادي للمدينة وضرب السكة بها: "ولم يكن الناس إذ ذك يتعاملون بالذهب والفضة، وإنما بالبعير والبقرة والشاة، فضرب زيري السكة وبسط العطاء في الجند، وجعل لهم الأرزاق فكثرت الدنانير والدراهم في أيدي الناس" ونتيجة لذلك:" اطمأنت نفوس أهل البادية للحرث والزراعة"[4].

وقد بلغت أشير مبلغا عظيما في ذلك الزمان، حتى أن مختلف الطقوس والمراسيم كانت تقام بها ومنها عمليات القصاص والتعزيز فيخبرنا النويري بقصة حم الذي جلب من غمارة بالمغرب الأقصى إلى أشير فيقول:" فرحل زيري إلى غمارة وصحبه موسى، فأوقع بهم، وأخذ الذي يدعى النبوة فوصل به إلى أشير، وجمع عليه الفقهاء فقالوا له: إن كنت نبيا فما علامة نبوتك؟ فقال: اسم حم، واسم أبي من الله، وفي القرآن حم تنزيل الكتاب من الله

[1] النويري ،المصدر السابق،ص 102.

[2] نفسه، ص 113.

[3] نفسه، ص89.

[4] نفسه ، ص 89.

العزيز الحكيم فأباحوا قتله فقتل، ومما يدل أيضا على مكانتها وعمارتها قوله: "وامتلأت البلد بالعلماء والفقهاء والتجار".[1]

إن الرجوع إلى النصوص المصدرية التي تحدثت عن مدينة أشير، يدلنا على التوافق بين ما أورده النويري، وما ذكرته مختف المصادر، فأبو عبيد البكري المتوفى سنة (487هـ/ 1094)الجغرافي المشهور يعلمنا أن الذي بنى سورها بلكين يوسف بن زيري بن مناد سنة(367هـ/978)[2]، في حين يذكر الإدريسي حيوية النشاط التجاري بها، حيث تجلب إليها مختلف السلع[3]، أما ياقوت الحموي فيقول عنها واصفا المكانة التي وصلت إليها: "وقصدتها أهل تلك النواحي طلب الأمن والسلامة فصارة مدينة مشهورة"[4]، كما أن ابن خلدون يصفها في عهد زيري بأنها:" من أعظم مدن المغرب، واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمرانها، ورحل إليها العلماء والتجار من القاصية"[5]، و"أذن المنصور الفاطمي في اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة أشير"[6]، أما صاحب الاستبصار فيقول:" وبالقرب من المدينة بنيان عظيم يعرف بمحراب سليمان لم ير بنيان أعظم منه ولا أحكم، فيه من الرخام والأعمدة والنقوش ما يقصر عنه الوصف"[7].

ومما يدلنا على ازدهار أشير وكثرة عمراتها هو أدائها لوظيفة اقتصادية هامة، والمتمثلة في كونها منطقة عبور هامة في طريق تجارة الذهب والعاج عبر المسار الرابط بين

---

[1] النويري ، المصدر السابق،.ص89.

[2] البكري، المصدر السابق، ص 60.

[3] محمد بن محمد بن عبد الله الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002، ج1، ص 254.

[4] شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت الحموي البغدادي،(ت 626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت ،1977،ج1،ص203.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 203.

[6] نفسه، ص 204.

[7] مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1985، ص 170.

الفسطاط فالقيروان فأشير فسجلماسة فبلاد السودان الغربي[1]، وكانت أربع طرق تجمع المدينة بغيرها، فالطريق الأولى تمر بسوق حمزة، والثانية بالمدية و قزرونة والثالثة بسوق هوارة والرابعة تمر بالمسيلة[2].

وقد تبوأت المدينة مكانة علمية وفكرية راقية، فبرز منها ثلاث شخصيات علمية على سبيل المثال لا الحصر بلغت شهرتهم بلاد المغرب والمشرق على حد سواء و هم:

أبو محمد عبد الله الأشيري (ت 561هـ/1165م): وصف بأنه عالم في الفقه والحديث والآداب، فرحل إلى حلب حيث تفوق بعلمه على جميع فقهاء المدينة، وتسابق الناس إلى الأخذ عنه، والتشرف بالانتساب إليه، استدعاء وزير الخليفة العباسي المقتفي ليدرس الحديث والفقه ببغداد، وتوفي ببعلبك سنة 561هـ/1165م ودفن بها[3].

أبو عمران الأشيري: الذي كان أهله بدون شك من أشير، عاش بتدلس ثم رحل في سنة 535هـ/1140م إلى اشبيلية وتواصل مع ابن العربي وأبو بكر بن طاهر، ثم ذهب إلى قرطبة فاخذ عن مشايخها كالأصبغ وابن مسرة، توفي بتادلس سنة 589هـ/1193م[4].

حسن بن عبد الله بن حسن الكاتب: أديب، كاتب، مشاعر عارف بالقراءات واللغة والطريق، وهو مؤلف " مجموع في غريب الموطأ ونظم الآلي[5].

---

[1] موسى هيصام، **أشير المدينة والعاصمة تأثيرها السياسي وإشعاعها الحضاري على ما جاورها**، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج 2، ع1، جامعة جزائر 2، الجزائر، 2011، ص 60.

[2] رشيد بورويبة، **مدن مندثرة تاهرت، سدراته، أشير، قلعة بني حماد**، دار بني مرابط، دت ، الجزائر، ص 85.

[3] هيصام، نفسه، ص 62.

[4] عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نوهض الثقافية، بيروت،ط 1980، ص 17.

[5] نفسه، ص 16.

لقد عرفت مدينة أشير بعد تأسيسها عملية تعمير مادية وبشرية انعكست بالإيجاب على الحياة الاقتصادية والثقافية والفكرية حتى أصبحت أشير حاضرة كبرى في بلاد المغرب الإسلامي تنافس مختلف الحواضر الأخرى في زمانها.

ب- المحمدية (المسيلة):

أجمعت المصادر التاريخية على أن باني مدينة المحمدية هو علي بن حمدون بن سماك بن مسعود المعروف بابن الأندلسي[1]، بأمر من أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله الشيعي منذ سنة 313هـ/925م، وكانت مسرحا لمختلف الأحداث خلال العهد الفاطمي: وقد جعلها الأمير الزيري باديس قاعدة متقدمة له لمحاربة زناته ومحاربة عمه حماد، وفي هذا الصدد يقول النويري عن عمارة المدينة:" وسار باديس إلى المحمدية فوصل اليها لليلتين بقيتا من الشهر... فأمر باديس بالبناء، وبذل لرجاله الأموال وأعطى الألفي دينار والخمسمائة"[2]، ثم يشير إلى شيء من عمران المحمدية وذلك غداة وفاة باديس فيقول:" ...فبينما هم في ذلك أتي الخبر أن أهل المحمدية قد شاع عنهم موت باديس، وأنهم أغلقوا أبواب المحمدية، وطلعوا على سورها" ، كما أن القيادة الحربية الزيرية قد جعلتها مستقرا للجيش الزيري: "وأما العسكر الذي بالمحمدية فانهم ارتحلوا " عنها بعدما كانوا مستقرين بها وتوجهوا نحو المهدية لمبايعة المعز[3].

إن التباعد الزمني بين فترة تدوين النويري لتاريخ مدينة المحمدية وأحداث عمراتها أثناء العهد الزيري جعله يمدنا، بمعلومات شحيحة عنها، وحسبنا هنا أن نتعرض إلى ما ذكره الجغرافيون والرحالة عن هذه المدينة وعمارتها في مختلف المجالات خلال الحقبة الزمنية

[1] أنظر البكري، المصدر السابق، ص 59، المراكشي، المصدر السابق، ص 171، الإدريسي، المصدر السابق، ص 254، أبو القاسم بن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992، ص 85.

[2] النويري، المصر السابق، ص 109.

[3] نفسه، ص 111.

المدروسة، فالإدريسي يقول: "وهي عامرة في بسيط من الأرض ولها مزارع ممتدة أكثر مما يحتاج إليه، ويسكنها من البربر بنو برزال ودنداح وهوارة وسدارته، ومزاته، وهذه المدينة عامرة بالناس والتجار"[1]، ويضيف البكري بأن لها:" أسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة، ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر"[2]، ومما يدل على بلوغ عمارة الأرض في هذه المدينة مبلغا كبيرا ما أورده صاحب كتاب صورة الأرض "ولها واد يقال له وادي سهر ولهم عليه كروم وأجنة كثيرة تزيد على كفايتهم وحاجاتهم، ولهم من السفرجل ما يحمل إلى القيروان، وتكثر عندهم المواشي والأنعام والبقر"[3]، ونظرا للنشاط الكبير للمدينة "فرض على أهلها صدقات وخراج عزيز"[4].

ج- الناصرية (بجاية):

تحدث النويري عن عمارة بلاد بني حماد أثناء الهجرات الهلالية لبلاد للمغرب الأدنى فيقول: "وتمكنت العرب وأخربوا البلاد ونهبوا الأموال، فانتقل كثير من أهل القرى والبلاد الى بلاد بني حماد لحصانتها، فعمرت بلادهم وكثرت أموالهم"[5]، وكما هو معروف فالناصرية (بجاية) هي العاصمة الثانية للحماديين، ولذلك أمدنا النويري بشذرات من أخبار تعميرها، فذكر قصة بناء بجاية وأسباب ذلك و يفيدنا المؤلف أن موضعها :" ينزله رعية البربر"[6]، وفي عهد الأمير المنصور بن الناصر (481-498هـ) تم نقل العاصمة رسميا من القلعة إلى بجاية وزاد في بناء وتحصين المدينة، واستفادت من خيرات القلعة بعد هجرانها من الأسرة الحمادية، ويصف الإدريسي الذي زارها خلال النصف الأول من القرن

[1] الادريسي، نفسه، ص 254.

[2] البكري، نفسه 109.

[3] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[4] نفسه، ص 85.

[5] النويري، المصدر السابق، ص 122.

[6] نفسه، ص 124.

السادس الهجري فيقول : "مدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بني حماد والسفن إليها مقلعة والقوافل بها منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافعة، وأهالها مياسير تجار، وبها من الصناعات ما ليس بكثير من البلدان"[1].

ومرسى بجاية في العصر الحمادي كان أعظم ميناء بعد الإسكندرية على الضفة الجنوبية لبحر الروم، وكانت تقصده السفن التجارية من أوروبا و من بلاد المشرق ، و بها دار لصناعة السفن والمراكب[2]، و عرفت بها كثير من المساجد الفخمة والمدارس والمكتبات والحمامات والقصور الأميرية كقصر النجم وقصر اللؤلؤ، الذي قال عنه ابن خلدون أنه أعجب قصور الدنيا، ووصف صاحب الاستبصار هذه القصور فقال:" لم ير الرؤان أحسن منها ولا أنزه موضعا، فيها طاقات متشرفة على البحر، عليها شبابيك الحرير، و حيطانها بالرخام الأبيض ،من أعلاها إلى أسفلها، قد نقشت أحسن نقش، وزينت بالذهب"[3].

لقد اعتنى الحماديون بصحة الرعية ،فقاموا بتشديد البيمارستانات لعلاج المرضى، وعينوا لها أطباء يقومون بمهماتهم أحسن قيام، ولكن هذه البيمارستانات قد عفت يد الدهر عليها ولم يبق منها ما يدلنا على رسومها ولا مواقعها، ولم نتوصل للتعرف على أسماء أطبائها إلا أن بعضهم وردت أسمائهم في كتب التراجم فمنهم ابن النباش أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خالد البجائي، كان على حسب ابن أبي أصيبعة ذا عناية بصناعة الطب مواظبا على علاج المرضى، ولعله كان أحد أطباء البيمارستانات ببجاية[4].

---

[1] الإدريسي ، المصدر السابق ،ص260.

[2] إسماعيل العربي، **دولة بني حماد ملوك قلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980،ص ص 4،5

[3] مجهول ،المصدر السابق ،ص 130.

[4] محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 162.

ب قلعة بني حماد:

أورد النويري في كتابه بعض الإشارات على عمارة مدينة القلعة، ومنها قوله:" وهي المعروفة بقلعة حماد، وقد جعلوها دار ملكهم"[1] متحدثا على أمراء بني حماد إلى غاية الناصر بن علناس، وعند تحدثه عن تخريب المدينة فهمنا أنها كانت على قدر كبير من العمارة والازدهار كقوله عن حالها عند سقوطها في يد الموحدين" ثم سار أبو سعيد إلى قلعة حماد و هي من أحصن القلاع و أعلاها فلما رأى أهلها عساكر الموحدين هربوا منها إلى رؤوس الجبال و ملكت القلعة و حمل منها جميع ما فيها من الأموال و الذخائر"[2].

تم تعمير القلعة بعد تأسيسها من طرف حماد فنقل إليها أهل المسيلة وأهل حمزة ونقل جراوة من المغرب الأقصى، وفي عهد بولوغين بن محمد عمرت من طرف أهل القيروان بعد سقوط مدينتهم بين أيدي بني هلال، وبني فيها الناصر قصرا على شرف زوجته بلارة، كما شيد المنصور قصور الملك والمنار والكوكب والسلام[3].

وقد وصفت بعض المصادر قصور المدينة فيقول صاحب الاستبصار:" وبالقلعة مبان عظيمة وقصور منيعة متقنة البناء عالية السناء، منها قصر يسمى بدار البحر" ويضيف "أن لهذا القصر منصرف على نهر كبير، وفيه الرخام والسواري ما يقصر عنه الوصف"[4]، ويضيف ابن خلدون أن القلعة:" استبحرت في العمارة لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها"، ويخبرنا البكري عن التجارة بها قائلا:" مقصد التجار، وبها تحط الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وبلاد المغرب"[5].

---

[1] النويري ،المصدر السابق ،ص122.

[2] انفسه ،ص67.

[3] رشيد بورييبة، المرجع السابق،ص111.

[4] مجهول، المصدر السابق، ص 168.

[5] البكري، المصدر السابق، ص 66.

وقد عرفت قلعة بني حماد نشاط علميا وفكريا كبيرا، وعرفت بعالمين هما:

أبو الفضل النحوي: وهو يوسف محمد بن يوسف، المعروف بابن النحوي التوزري القلعي، درس في مسقط رأسه ثم بالقيروان والمغرب الأقصى، قبل أن يستقر بقلعة بني حماد في سنة 494هـ/1110م، وعرف بقصد المشهورة الذي تحمل عنوان المنفرجة[1].

ابن الرمامة: ولد بالقلعة، وأخذ عن ابن النحوي الذي علمه الفقه بقلعة بني حماد، ومنها رحل إلى بجاية والجزائر وقصد الأندلس ومنه كتبه" تسهيل المطلب في تحصيل المذهب"[2].

كما ذكر الغبريني في كتابه عنوان الدارية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية سبعة علماء أصلهم من قلعة بني حماد وهم.

- محمد أبو عبد الله بن محمد بن عبادة القلعي وكان مؤرخا فقيها.
- أبو عبد الله محمد بن الحسن التميمي القلعي واشتهر في الآداب والنحو.
- ابن الخراط النحوي.
- أبو محمد عبد الكريم بن الملك.
- أبو عبد الله محمد بن صمغان القلعي القاضي.
- أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي القلعي، و اشتهر مع العلماء الذين سبق ذكرهم في مجال العلوم النقلية.
- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المنصور القلعي، عالم الفرائض والرياضيات[3].

[1] رابح بونار، **المغرب العربي تاريخه و ثقافته** ،البصائر الجديدة للنشر،الجزائر ، ط 2019 ، ص 200

[2] نفسه، ص201.

[3] انظر: أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني ، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، المطبعة الثعالبية ،الجزائر ، ط1910، ص38 و ما بعدها.

كما قدم النويري إشارة طفيفة لتعمير مدينة باغاية من قبل أهل كتامة بعد تخريب هذه الأخيرة[1].

2- مدن المغرب الأدنى:

أ- المهدية:

يعلمنا النويري خلال حديثه عن الهجرات الهلالية عن بعض أوضاع مدينة المهدية في العهد الزيري، فيذكر تخريب العرب للمدينة فيقول:" وشرع العرب في هدم الحصون والقصور، وقلع الثمار وتعمية العيون"[2]، غير أنه لم يمدنا بمعلومات حول أسماء هذه الحصون والقصور ومتى بنيت، هل في العهد الزيري أم قبله؟ وأشار في موضع آخر إلى وجود كنائس بالمدينة وذلك أثناء حديثه عن نهب الفرنجة للمدينة قائلا: " ومن الناس من اختفى عند النصارى وفي الكنائس: وفي نفس الحادثة يخبر عن قصر الحسن الزيري "ودخل جرجي القصر فوجده على حاله لم يأخذ منه الحسن شيئا إلا ما خف من ذخائر الملوك، ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة"[3].

وقد بلغت المهدية مبلغا عظيما حتى أصبحت ملاذا لطلبة العلم وكان أهلها محبوه له والدليل على ذلك ما أورده المؤلف في قوله: " ... حتى انتهوا على المهدية وسلطانها حينئذ يحي بن تميم بن المعزين باديس، فنزل بمسجد وليس معه سوى ركوة وعمدا، فتسامع به أهل البلد فقصدوه يقرؤون عليه أنواع العلوم" متحدثا عن المهدي بن تومرت وإقامته في المهدية مع جماعة من أصحابه[4].

---

[1] النويري، المصدر السابق، ص 101.

[2] نفسه ،ص 120

[3] نفسه،نفس الصفحة.

[4] نفسه، ص 137.

لقد تكلم الجغرافيون عن مدينة المهدية بإطناب، فابن حوقل يقول" أنها كثيرة القصور نظيفة المنازل والدور، حسنة الحمامات والخانات خصبة رفهة الفواكه والغلات طيبة الدخل"، وقدم لنا هذا الوصف أثناء العهد الفاطمي لأنه زارها سنة ست وثلاثين وثلاثمائة أواخر الفاطميين[1].

أما الإدريسي فانه من المرجع زيارته لها أواخر العهد الصنهاجي فيقول: "والمهدية مدينة لم تزل ذات محط وإقلاع للسفن الحجازية القاصدة إليها من بلاد المشرق والمغرب والأندلس بلاد الروم وغيرها من البلاد، وإليها تجلب البضائع الكثيرة بقناطير الأموال على مر الأيام"، ثم يصف لنا سورها" ويحيط بالمهدية سور حسن مبنى بالحجارة وعليها بابان من حديد لفق بعضه على بعض من غير خشب، ثم يتحدث عن قصر الأمير ويسكنها السلطان وجنوده، وبها قصره الحسن، البناء العجيب الإتقان والارتقاء"، ويختم كلامه عن المهدية قائلا: "والمهدية بلاد افريقية وقطب ممتلكاتها"[2].

في حين اقتصرت المصادر الجغرافية الأخرى عن أحداث تأسيس منه المدينة خلال العهد الفاطمي وعمارتها أثناءه ، و يفيدنا ابن عذارى أن المهدية ضعفت في أوائل عصر بني زيري إلى أن استوطنها المعز بن باديس آخر أيامه لما خربت القيروان إلى أن توفي بها، ووليها بعده ابنه تميم بن المعز وصارت دار ملكه ،وولده يحي ثم الحسن وكانت موطئ استقرارهم، ويذكر في موقع آخر اسم القصر الذي أقام به المعز حفل توليه الإمارة وهو قبة السلام[3]، وفي موقع آخر يشير إلى أسطول المدينة الذي عاد بسبي كثير من بلاد الروم[4].

---

[1] النويري، المصدر السابق، ص 153.

[2] الادريسي ، المصدر السابق ، ص283.

[3] أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى (ت سنة 712هـ)، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح: بشار عواد محمد بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013م، م1، ص 292.

[4] نفسه، ص 336.

وتفيد بعض المصادر وتوافق ما ذهب إليه النويري أن المهدية أصبحت ملاذا لطلبة العلم، حيث أنه في سنة(509هـ/1115م)، وصل المهدية رجلان، ذكرا أنهما من طلبة المصامدة ، عارفين بصناعة الكيمياء، فأبيح لهما دخول إلى دار العمل[1].

ب- المنصورية:

يحدثنا النويري أن أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي لما ودع المعز الفاطمي استقر بالمنصورية وجعلها عاصمة له حيث يقول: "ثم ودعه يوسف ورجع فكان دخوله إلى المنصورية في يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة دخلت من شهر ربيع الأول سنة 362هـ فنزل بقصر السلطان وخرج إليه أهل القيروان وتلقوه"، ثم يخبر أن هذه المدينة أقيم بها حفل تنصيب باديس بن المنصور بعد وفاة نزار الفاطمي، "فلم يبق بإفريقية وأعمالها فارس ولا راجل إلا وصل إلى المنصورية "، ثم يخبرنا ببعض دور المدينة فيقول: "فأنزل الشريف بدار الأمير يوسف بجوار قصر السلطان"[2].

يذكر ابن عذارى في البيان بعض عمليات التعمير المادي لمدينة فيقول: " وفي سنة سبع وثلاثين وأربع مئة، بني سور المنصورية"[3]، وبعدها يقول: "وفي سنة إحدى وأربعين وأربعمئة بنيت المصلى بالمنصورية"[4]، ويصف عمارتها بشكل مجمل فيضيف، "وخربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة"[5].

ومما يشار إليه أن بعض المصادر تسمى المنصورية بصبرة وتذكرها مع مدينة القيراون فيقول البكري، "ومدينة صبرة متصلة بالقيروان" ويذكر الإدريسي "أنها دار الملك، وكان فيها

[1] ابن عذارى ، المصدر السابق ،ص 337.

[2] النويري، المصدر السابق، ص 103.

[3] ابن عذارى، نفسه ، ص 32.

[4] نفسه، ص 304.

[5] نفسه، ص 318.

أيام عمارتها ثلاثمائة حمام وأكثرها للديار وباقيها مبرز للناس كافة، ويعود سبب عمارة هذه المدينة إلى أن الزيرين أرادوا أن يجعلوها عاصمة سياسية واقتصادية لدولتهم ثم تم تخريبها من بني هلال[1].

ج- طرابلس:

تحدث النويري عن شيء من عمارة مدينة طرابلس في العهد الزيري حيث أن الفرنج أقاموا بها مدة وعمروها ثم تركوها فيقول:" وأقام الفرنج ستة أشهر حتى حصنوا أسوارها وحفروا خندها، وعند رجوعهم أخذوا رهائن أهلها والملثم وبني مطروح ثم أعادوا رهائنهم واستقام أمر المدينة وعمرت سريعا"، كما أن أحد شخصيات بعض الأسر مهمة قد استوطن هذه المدينة وينحدر من أسرة بني خزرون الذي لعبت أحداثا مهمة على مسرح الأحداث في تلك الفترة فيقول النويري عنه" وأما فلفل بن سعيد فانه سار إلى طرابلس فقبله أهلها أحسن قبول فاستوطن بها".

ويصف البكري المدينة بقوله "ومبنى جامعها أحسن مبنى، ولها أسواق حافلة جامعة وحمامات كثيرة فاضلة وبطرابلس مسجد يعرف بمسجد الشعاب مقصود، وفيها رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون"[2]، ويضيف الإدريسي "بأنها حصينة عليها سور حجارة وهي على نحر البحر، بيضاء حسنة الشوارع متقنة الأسواق، وبها متاع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات، وبها فواكه جمة ونخل"[3].

[1] روجي ، المرجع السابق ، ج2 ،ص28.

[2] البكري ،المصدر السابق ،ص7.

[3] الادريسي ،المصدر السابق ،ص297.

د- القيروان:

أورد القيروان بعض الإشارات الطفيفة عن عمارة مدينة القيروان خلال العهد الزيري، فذكر عامل القيروان الذي أصلح البلد لكنه لم يعطنا معلومات عن اسمه ولا كيفية إصلاح البلد وأنه ساهم في تحريض السنة إلى الشيعة فيقول: « فأقبل عامل القيروان يظهر أنه يسكن الناس، وهو يحرضهم ويشير إليهم بزيادة الفتنة، لأنه كان قد أصلح البلد فبلغه أنه معزول، أراد إفساده»[1]، كما أن عامل القيروان قائد بن ميمون الصنهاجي الذي استخلفه المعز باديس عند انتقاله من القيروان إلى المهدية «بنى قصرا بباب سلم»[2] بالمدينة، وزاد من تحصينها فيقول: «فابتدأ ببناء سورها وحصنها»، كما ذكر استقدام الأمراء الزيرية للعناصر الكفأة لتولي المناصب بالقيروان ومنها استكتاب عبد الله بن محمد الكاتب فيقول عنه: « وعبد الله هذا من بني الأغلب، كان أبوه محمد قد هرب إلى غزواة فولد بها عبد الله فرباه خاله صالح وتعلم الخط والترسل، فاستكتبه زيري وهو صبي شاب.... وكان فصيحا بليغا، عالما بلغة العرب ولسان البربر»[3].

اهتم الزيريون بالقيروان كثيرا لأنها العاصمة السياسية والدينية والاقتصادية والثقافية، وبلغت العمارة بها مبلغا كبيرا، وهو ما ذهبت إليه أخبار المصادر فيقول المقدسي: "القيراون مصر الأقاليم، بهي عظيم حسن الأخبار جيد اللحوم فهي مفخرة المغرب ومركز السلطان، أرقى من نيسيور وأكبر من دمشق وأجمل من أصبهان وقد أجرى لهم المعز قناة من الجبل تملأ المواجيل بعدما تدخل قصره بصبرة، وذكر أبواب ودروب

[1] النويري، المصدر السابق، ص ص 111-112.

[2] نفسه، ص 127.

[3] نفسه، ص 94.

المدينة و منها باب السماط، باب الصرافين، باب الرهادنة، باب الفضوليين، باب المأذنة، باب سوق الخميس، درب الربيع، درب أسلم، درب نافع[1].

يصف البكري تحصين المدينة وبناء السور من طرف المعز قائلا: « بناه المعز بن باديس بن المنصور الصنهاجي سنة أربع وأربعين، وأربعمائة وجعل السور مما يلي صبرة، كالفصل حائطان يتصلان إلى مدينة صبره، والمدينة اليوم، أربعة عشر بابا»[2].

ويصف الإدريسي المدينة: «بأم الأمصار وقاعدة أقطار، وكانت أعظم مدى المغرب قطرا وأكثرها بشرا أو يسرها أمولا وأوسعها حالا وأتقنها بناء وأنفسها همها وأربحها تجارة وأكثرها جباية وأنفقها سلعة وأنماط ربحا»[3].

عرفت بمدينة العديد من الأسواق منها سوق الأحد الواقعة غربي المدينة وتباع بها الأقمشة والفخار، وفي وسط هذه السوق التي كان لها باب يسمى باب السوق الأحد، وكان يوجد حي اسمه حارة أبي محرز، وكان صباغ في باب أبي الربيع كما كانت سوق الغنم ، ويتم شراء الإبل من باب أبي الربيع ، كما كانت سوق للكتانين ،وسوق الغزل وسوق الخزازين وسوق الجواهريين وسوق العطارين وسوق الزجاجين[4].

انعكس ازدهار الحياة الاقتصادية بالقيروان على الحياة الفكرية والأدبية فانتعشت وراجت في القيراون شتى العلوم الدينية كالحديث والتفسير والفقه[5]، وقد عرفت البلاد أغلب المذاهب المعروفة في المشرق، لكن المذهب المالكي كان أكثر المذاهب رواجا وانتشارا، ومن علماء هذه المدينة:

---

[1] المقدسي، المصدر السابق، ص 155.

[2] البكري، المصدر السابق، ص 80.

[3] الإدريسي، المصدر السابق، ص 284.

[4] روجي، المرجع السابق، ص 21.

[5] الضاوية بريك ، **الحياة الفكرية في القيروان خلال العهد الصنهاجي الزيري**، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، العدد25، ص 278.

– أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد النفزاوي القيرواني: سمع على مجموعة العلماء بإفريقية، وتفقه عليه جلة من القرويين والأندلسيين وقد كان إمام المالكية في وقته ويسمى بمالك الأصغر وله كتاب المختصر للمدونة[1].

–أبو إسحاق إبراهيم بن حسن المعارفي التونسي: كان فقيها صالحا موصوفا، بالفهم قرأ القراءات وأجازيها وقرأ الفقه البارع والنحو، ناظر مجموعة من العلماء أمام المعز ابن باديس توفي سنة 443هـ، وحضر المعز بن باديس جنازته في جمع عظيم ودفن بباب سلم[2].

–أبو عبد الله محمد بن السعدون بن علي بن بلال: ولد بالقيروان وكان من أهل العلم في الفروع والأصول، كتب الحديث بمكة ومصر والقيروان وله كتاب تأسيسي أهل الايمان بما طرأ على مدينة القيروان[3].

[1] عبد الرحمان بن محمد أبو زيد الصباغ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح: محمد صور، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978، ج3، ص 111.

[2] الدباغ، المصدر السابق، ص 180.

[3] نفسه، ص 198.

المبحث الثالث: تخريب المدن.

1- خراب مدن الغرب الأوسط :

أ-قلعة بني حماد .

ب- مدن كتامة (ميلة أنموذجا) .

ج- تيهرت.

د- باغاية .

هـ- طبنة .

2- **خراب مدن إفريقية :**

أ- القيروان .

ب- المهدية .

ج- طرابلس.

المبحث الثالث: تخريب المدن

التخريب عكس العمارة، والمراد به مايخربه الملوك من العمران بدوافع سياسية أو اقتصادية أو دينية ،أو بسبب الظروف الطبيعية ، وبعدما تعرفنا عمارة المدن نتعرف في هذا المبحث عن ظاهرة خراب المدن و دوافعها و المدن المخربة في عهدي الدولتين الزيرية و الحمادية التي تطرق إليها شهاب الدين النويري في مصنفه.

1-مدن المغرب الأوسط:

أ-تخريب القلعة:

تحدث النويري عن تخريب هذه المدينة خلال ذكره الصراع بين الأمير باديس الزيري وعمه حماد فيقول : " ثم أنفذ باديس أخاه كرامت إلى المدينة التي أحدثها حماد، فخرج إليها عسكر كثير، فهدم قصورها و مساكنها جزاء لما فعله حماد و أخوه في البلاد ، و لم يتعرض لأخذ مال و لا سفك دم "[1]. أي أن هذا الخراب خراب مادي تمثل في هدم العمران من قصور و مساكن، ثم واصل حديثه فقال: " وهرب من القلعة جماعة إلى باديس و تركوا نسائهم و أولادهم و أموالهم . فأقبل إبراهيم (أخو حماد) يذبح الأولاد على صدور أمهاتهم و يشق بطونهم و فعل أفعالا شنيعة" أي أن هذا التخريب بشري تمثل في هجرة السكان ومقتل آخرين منهم ،وفي موضع آخر يذكر تخريبها من طرف الموحديين فيقول: " و لما ملك عبد المؤمن، بجاية تجمعت صنهاجة في أمم كثيرة ... و قصدوا حرب عبد المؤمن، فأرسل إليهم جيشا كثيفا، و ومقدمهم أبو سعيد يخلف .... ثم سار أبو سعيد إلى قلعة حماد، و هي من أحصن القلاع و أعلاها فلما رأى أهلها عساكر الموحدين هربوا منها في

[1] النويري، المصدر السابق، ص108

رؤوس الجبال ، و ملكت القلعة وحمل جميع ما فيها من الأموال و الذخائر وغير ذلكّ إلى عبد المؤمن"[1].

بعودتنا إلى مجموعة من المصادر التي تحدثت عن التخريب الأول الذي تكلم عنه النويري وجدنا أن هذه المصادر" تتحدث عن حصار باديس للقلعة ووفاته أثناء الحصار"[2]. ومن المرجح أن هذا التخريب وقع عند إقامة باديس بالمحمدية ،فقام كرامة أخو باديس بهجوم على القلعة و خرب جزء منها، فخرج منها عدد كبير من سكانها وطلبوا الأمان من باديس، فأمنهم ، فغضب عليهم "إبراهيم أخو حماد الذي كان بالقلعة و قتل نساءهم وأولادهم"[3].

أما عن التخريب الثاني الذي تعرضت له القلعة حسب النويري، فلم يكن بسبب الجيش الحمادي ، و إنما بسبب التوسع الموحدي فبعدما استكمل عبد المؤمن سيطرته على بلاد المغرب الأقصى توجهت أنظاره شرقا ، فخرج في سنة 546 هـ/ 1151 م " مظهرا للناس غزو الروم بجزيرة الأندلس، فلما وصل إلى سلا أقام بها شهرين يردد الرأي في نفسه ثم توصل منها إلى سبتة ، مظهر للناس الإجازة إلى الأندلس ، ثم رحل منها راجعا مظهرا الانصراف إلى مراكش ، و أشاع الذكر بذلك للناس و مقصده في نفسه و نفس خاصته بجاية "[4]، و بعد أن تمت سيطرته على بجاية توجه نحو القلعة،و دارت بين السكان وجيوش الموحدين ملحمة شديدة، اضطر فيها السكان إلى أن يجلو عن القلعة ، إلى رؤوس الجبال بعد إضرام الجيش النار في مساكنها، و القيام بعملية تخريب شملت كل المدينة ، و أسرف الموحدون في القتل فقتلوا نحو من ثمانية عشر ألف ،و كان في جملة من قتل جشم بن

[1] النويري، المصدر السابق، ص167

[2] ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 209.

[3] بورويبة، المرجع السابق، ص 24.

[4] ابن عذارى ، المصدر السابق، ج3، ص 129.

العزيز أخو يحيى الأمير الحمادي[1]، و يذكر عبد الواحد المراكشي في المعجب بأنه" تم سبي نساء من القلعة من بينهن مريم و ملكة اللتين أصبحتا من جواري الخلفاء الموحدين"[2].

و من آثار هذا التخريب القضاء على الدولة الحمادية ، و انهيارها سنة 547 هـ/1152م، وتبعية القلعة للموحدين ، وكذا هجرة رجال العلم و أهل التجارة و الذين قصدوا على وجه الخصوص مدينة بجاية، وهو ما يدله العدد المعتبر من العلماء الذين ولدوا بالقلعة و درسوا بها، ثم انتقلوا إلى بجاية و استقروا بها، كما أثر هذا التخريب كثيرا عليها فكان بداية نهايتها[3].

و برجوعنا إلى ابن خلدون نجده يتطرق إلى تعرض القلعة لهجرات القبائل الهلالية [4] وذلك في عهد الناصر إثر موقعة سبيبة[5] إذ يقول : " نجا إلى قسنطينة و رياح في أتباعه، ثم لحق بالقلعة فنازلوها، وخربوا جنباتها ، و أحبطوا عروشها و أظهروا في الأرض الفساد "[6]، ومن آثار هذا التخريب نقل الناصر بن علناس عاصمته إلى بجاية ، و ترك السكان لأراضيهم و مزارعهم ، و هجرة أغلب الصناع و أصحاب الحرف إلى

---

[1] عويس ، المرجع السابق، ص 190.

[2] عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ط1949،ص330.

[3] علاوة عمارة ، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الإسلامي** ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008،ص90.

[4] حين اختلف حماد بن بلكين على باديس و فسدت العلاقات بينهما، أعلن حماد رفض و إلغاء مذهب الشيعة و التمسك بمذهب أهل السنة، وتبعه المعز بن باديس في ذالك و لعن مذهب الروافض و أعلن انفصاله السياسي عن الفاطميين فقتل الكثير من الشيعة بالمغرب، فتأثر الخليفة الفاطمي كثيرا، فأشار عليه وزيره اليازوري بإطلاق الأعراب من بني هلال و سليم و رياح و رغبهم في بلاد المغرب و ملك المعز بن بلكين، فخرجت حملة الأعراب سنة 442هـ/1051م ، ونزلوا بإفريقية فأكثروا فيها الفساد و النهب، إلا أن قضوا على دولة بني زيري و أبناء عمومتهم بالمغرب الأوسط ،أنظر : عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، دار مكتبة الحياة ،الجزائر ،ط1965،ص ص344،342.

[5] موقعة سبيبة: هي معركة تحالف فيها تميم بن المعز مع أمراء رياح و بنو هلال و زناتة ضد الناصر بن علناس فانهزم هذا الأخير، و كانت سنة457هـ/1065م،أنظر : موسى هيصام ، **الجيش الجزائري في العهد الحمادي (405-547هـ/1014-1152م)**،مديرية الثقافة لولاية المدية،2008،ص112.

[6] ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص 27.

بجاية، و تجنب القوافل التجارية دخولها إلى القلعة ، كما نلاحظ أن ابن خلدون ربط كثيرا بين خراب المدن و الهجرات الهلالية إذ يقول عنها: " و إفريقية و المغرب لما جاز إليها بنو هلال و بنو سليم منذ أول المائة الخامسة و تمرسوا بها لثلاثمائة و خمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطها خرابا كلها، بعد أن كان مابين السودان و البحر الرومي كله عمرانا شهد ذلك آثار العمران من المعالم" و يزيد أكثر من ذلك بقوله عن الخشب " و الخشب أيضا إنما حاجتهم إليه ليعمدوا به خيامهم و يتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم، فيخربون السقف عليه، لذلك صارت طبيعة وجودهم منافية للبناء ، الذي هو أصل العمران"[1].

ومما يظهر لنا أن ابن خلدون بالغ كثيرا في هذا الوصف لثلاثة أمور: أولها حقده على العرب لتعزيزهم إياه و تعرضهم له، و ثانيها أن المراكشي يقول: " أولئك العرب لم يبدؤوا خراب إفريقية و إنما أكملوه فقد كانت البلاد تتخرب شيئا فشيئا من سنوات طويلة نتيجة الإهمال وسوء الإدارة من أواخر أيام الأغالبة"[2] و الثالث تأثير الصراع الحمادي الزيري ، و كذا الصنهاجي الزناتي و الغزو النورماني على مدن المغرب ،و مهما يكن من شيء فإن القلعة تعرضت للتخريب مرات عديدة بسبب الصراع الزيري الحمادي ثم الغزو الهلالي فالتوسع الموحدي، كما نعد انتقال العاصمة منها إلى بجاية خرابا من نوع خاص.

ب خراب مدن كتامة: مدينة ميلة " أنموذجا "

تطرق شهاب الدين النويري إلى تخريب مدن كتامة [3] خلال العهد الزيري ، و أورد ذلك خلال ذكره لأخبار أبي الفهم حسن بن نصرويه الخرساني ، و كما هو معلوم فإن الدولة

---

[1] ابن خلدون، جزء المقدمة، ص 187

[2] المراكشي، المصدر السابق ،ص204.

[3] كتامة: مجموعة قبائل مستقرة تنتمي إلى فرع البرانس، سميت بذلك نسبة إلى كتام ابن برنس بن مازيغ وموطنهم من بجاية وبونة شمالا ومن الأوراس جنوبا، ومن مدنها: سطيف، ميلة، قسنطينة، قالمة، انظر: موسى لقبال، **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979، ص 92.

الفاطمية في مصر توجست من انفصال ملوك بني زيري عنها و ما يؤيد ذلك مقولة المنصور بن زيري " إن أبي وجدي أخذ الناس بالسيف قهرا ، و أنا لا أخذ الناس إلا بالإحسان و لست من يولى ولا يعزل بكتاب و لا أحمد في هذا الملك إلا الله و يدي ، و هذا الملك مازال في يد أبائي و أجدادي ورثناه عن حمير "[1].

فأرسل نزار الفاطمي رجلا خراسانيا يدعى أبو الفهم، و استقبله يوسف بن عبد الله الكاتب " و أعطاه أموالا سنية و أكرمه ، فطلب أبو الفهم الخروج إلى بلد كتامة يدعوهم و ينتهي إلى ما أمره به نزار ووجهه إليه "[2].

ولما وصل بلد كتامة استقبل ولقي ترحابا كبيرا " ثم تزايدت أموره حتى صار يجمع العساكر و يركب الخيل ، و عمل بنودا و ضرب سكة و اجتمع إليه خلق كثير من كتامة"[3] ثم عزز نزار أبا الفهم برسولين هما أبو العزم ومحمد بن ميمون الوزان وأرسل معهما سجلات إلى المنصور الزيري يطلب منه أن لا يتعرض لأبي الفهم الخرساني و كتامة ، فشتمهما المنصور وأسمعهما مكروها"[4].

نتيجة لذلك اضطرابات الأمور ببلد كتامة و تهيأ المنصور لقتال أبي الفهم و كتامة و سار إليهم حتى وصل مدينة ميلة و عزم على قتل أهلها ، فخرج إليه النساء و الأطفال فلما رآهم بكى و كف عنهم القتل ، غير أن عساكره نهبت كل ما فيها ، و أمر المنصور بهدم سور ميلة فهدم و تم تهجير أهلها و نقلهم إلى باغاية[5].

يواصل النويري في ذكر تخريب ميلة فيقول : " فاجتمعوا و مضوا إلى باغاية وقد سلم لبعضهم ما خف من عين وورق و غير ذلك فلقيهم ماكسن بن زيري بعسكره و أخذ ما

[1] النويري، المصدر السابق، ص 97.

[2] نفسه، ص 100.

[3] نفسه، ص 100.

[4] نفسه، ص 101.

[5] نفسه، ص 101.

كان معهم"[1] و يزيد ابن عذارى على ذلك بقوله : " و كان المنصور لا يمر بمنزل و لا قصر و لا دار إلا أمر بهدمه، و قتل بسببه والي ميلة و جماعة من كتامة و نزل بكتامة الذل و الهوان و بقيت ميلة خرابا ثم عمرت بعد ذلك "[2].

يرجع عبد العزيز فيلالي سبب تخريب ميلة في هذه الفترة إلى امتناع سكانها عن دفع الضرائب ويتكلم عن آثار هذا التخريب فيقول : " بدأت مدينة ميلة تفقد أهميتها الإدارية و العسكرية في المنطقة و صارت تخضع لحكام مدينة قسنطينة" و يصف موسى لقبال تخريب ميلة وبلاد كتامة بالحركة التخريبية إذ يقول : " و كان هدف المنصور تصفية آثار حواضر كتامة التي أوت الداعي و ناصره سكانها وقد اقتحم ميلة، و قتل واليها مع كثير من وجوه كتامة.... وواصل الحركة التخريبية ضد منازل و قصور ومدن كتامة حتى بلغ سطيف وهي كرسي عزهم "و كما أثر فشل حركة أبي الفهم على عمران كتامة و خاصة ميلة فإنه أثر كذلك على مكانة أعيانها ووجهائها في الدولة الزيرية فيقول لقبال أيضا: " ضعفوا و ذلوا و استصفيت أموالهم وهجرت عناصرها القوية إلى أماكن بعيدة "[3] ،و نعد هذا من خرابها بطريقة غير مباشرة ،بل وصل الأمر أكثر من ذلك حتى أصبح هذا الإقليم بمدنه يعاني الفقر و الخراب و الحرمان و الأحكام الجائرة و الإرهاق في الجبايات .

و مجمل قولنا في خراب ميلة أنها خربت خلال العهد الزيري بسبب فشل حركة أبي الفهم الخرساني مبعوث الفاطميين لإطاحة بني زيري في المغرب انطلاقا من بلد كتامة ، كما أن سبب خرابه ايدخل في إطار الصراع الصنهاجي الكتامي.

---

[1] النويري ، المصدر السابق ،ص 101.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق،ص 263 .

[3] ميلة: هي إحدى مدن بلاد كتامة، يسكنها العرب و الجند و المولدون ،بها جامع و أسواق و حمامات.، البكري ،المصدر السابق ،ص 64.

ج تخريب تيهرت:

ذكر مؤلفا تخريب مدينة تيهرت[1] خلال تطرقه لأخبار أبي الفتوح يوسف بلكين ابن زيري، فتنفيذا لوصية المعز بعدم رفع السيف عن البربر، قام أبو الفتوح بغزوته المشهورة إلى المغرب الأقصى ، "و في طريقه أخبره عامله على تيهرت خلوف بن محمد يذكر أن أهلها خالفوا فسار إليهم و قاتلهم ودخل البلد بالسيف في شهر رمضان فقتل و سبى و نهب وأحرق البلد"[2] و يراودنا هنا استفهام فهل هذا التخريب رغبة في تدمير هذا البلد على آخره أم هو إجراء تأديبي لأهله؟

و يدخل تخريب مدينة تيهرت في عهد بلكين بن زيري في إطار الصراع المستمر بين قبيلتي صنهاجة و زناتة ، و لئن كان هذا الصراع قد استمر في عهد بلكين أو في عهد خلفائه من ملوك بني زيري ،فإن هذه الحركات التمردية و العصيان و إعلان الثورات ضد السلطة الزيرية لم تتوقف بل تواصلت في مدينة تيهرت ، و كان ثمنها الذي دفع هو حصد الأرواح و نهبب الأموال و سب النساء[3].

و يعزو أحمد مختار العبادي سبب تخريب تيهرت في هذه الفترة إلى أنها معقل الخوارجّ إذ يقول : " فقام يوسف من فوره و اتجه بجيوشه نحو زناتة فطردهم من المغرب

[1]تيهرت: مدينة في الطريق بين القيروان و سجلماسة ،سميت بالعراق الصغير ،تعد من أهم حواضر بلاد المغرب خلال العصر الوسيط، تميزت بتربتها الخصبة و مناخها الملائم لممارسة النشاط الفلاحي حتى أصبحت من أهم المدن في تعداد الثروة الحيوانية ، و ازدهرت أيام الرستميين، وهي على جبل و يسكنها كثير من الناس. أنظر :ابن حوقل ،المصدر السابق،ص86.

[2]النويري ، المصدر السابق، ص 93.

[3] البشير بوقاعدة ، **خراب المدن بالمغرب الأوسط و الأدنى بين 290 هـ/909م-1152/547م**،مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة ،بوزريعة ،2012-2013،ص160.

الأوسط و خرب مدينة تاهرت معقل الخوارج " [1] و يبدو أنه جانب الصواب لأن " تاهرت لم تعد آنذاك معقلا للخوارج" كما يقول محمد بن عميرة."[2]

ويورد ابن عذارى وابن الأثير في الكامل أن تاهرت تعرضت لخراب آخر و ذلك أن " أبو البهار بن زيري خالف المنصور فزحف إليه هذا الأخير، ففر أبو البهار أمامه إلى الغرب ، و دخل عسكر المنصور تيهرت، فنبهوا و قتلوا "[3].

وأبلغ وصف عن حال تيهرت بعد تعرضها لغزو بلكين هو قول ابن حوقل المعاصر: " و قد تغيرت تاهرت عما كانت عليه و أهلها و جميع من قاربها من البربر في وقتنا هذا فقراء، يتواتر الفتن عليهم ،و دوام القحط و كثرة القتل والموت من جهة خليفة أهل المغرب ، و هو بلكين يوسف بن زيري "[4] و يشكك جودت عبد الكريم في هذا القول و يرجع سببه إلى أن ابن حوقل عبر من خلاله عن موقفه السياسي من بني بلكين بن زيري[5].

واستنادا إلى سبق ذكره فإن خراب مدينة تيهرت خلال الفترة المعنية بالدراسة له سببان، فالأول بحكم كونها ضمن مجال قبيلة زناتة فخربها بلكين الصنهاجي، و عليه تخريبها كان بسبب الصراع القبلي ، و التخريب الثاني بسبب اعتصام أحد أفراد الأسرة الزيرية بها ،أي بسبب الصراعات الداخلية الأسرة الزيرية.

---

[1] أحمد مختار العبادي ، **سياسة الفاطميين نحو المغرب و الأندلس**، المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد، ع 5، 1957، ص .211.

[2] محمد بن عميرة، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1987، ص 245.

[3] ابن عذارى ، المصدر السابق، ص264 .

[4] ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 93 .

[5]جودت عبد الكريم يوسف، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين (9-10م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، د ت، الجزائر، ص 426.

د باغاية[1]

تحدث النويري في هذه المدينة عن عملية الترحيل القسري لأهلها من قبل أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري بعد تمردهم على الحكم الزيري حيث يقول : " ثم بعث عشرة من أهل القيروان إلى باغاية يحذرهم المخالفة و يطلب منهم النزول على حكمه، فأجابوه إلى الطاعة و نزلوا على حكمه فحكمّ أن يسلموا إليه المدينة و يمضوا حيث شاؤوا و أخرب المدينة القديمة التي عليها السور"[2] .

وأصل سكان باغاية الذين تم إجلائهم هم من القبائل الزناتية كقبيلة مدغرة"[3] و الذين تعويضهم لاحقا بسكان مدينة ميلة، الذين تم تهجيرهم خلال ثورة أبي الفهم السالفة الذكر، "وواضح أن باغاية لما توالت عليها النكبات سرعان ما لزمت الطاعة و ذلك ما يؤكده رفض سكانها للاشتراك في التمرد الذي قام به فلفل بن سعيد بن خزرون الزناتي سنة (389 هـ / 999م) و الذي حاصرها فامتنعت أمامه رغم طول الحصار"[4].

ويفيدنا الإدريسي أن المدينة تعرضت للتخريب على يد القبائل الهلالية إذ يقول " و أما الآن فالأسواق في المدينة و الأرياف خالية بإفساد العرب لها"[5] و يزيد على ذلك : " و كانت لها بواد و قرى عامرة ، و الآن كل ذلك قليل فيها " و يشير الحموي إلى أن عالما ولد بها قد هجر منها إلى الأندلس وهو أحمد بن علي أحمد الباغي المقرئ ، و لا ندري سبب

---

[1] مدينة قديمة، بجبل أوراس، ذات أنهار و ثمار و مزارع ، اشتهرت لما اتخذتها الكاهنة عاصمة لها ، و حولها قوم من البربر من هوارة، ، أنظر: عبد القادر بوعقادة، **الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7و9هـ**، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2015/2014،ص208.

[2] النويري ، المصدر السابق، ص 95.

[3] مدغرة: فرع من فروع قبيل زناتة ، وقد لعبوا دوارا خطيرة في تاريخ المغرب الأوسط، أبرزها المشاركة في ثورة ميسرة الحقير، أنظر : بوزياني الدراجي ، **العصبية القبلية و أثرها على النظم و العلاقات في المغرب الإسلامي**، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة الجزائر ،1988،ص245 .

[4] أمين كرطالي، "**مدينة باغاية خلال العصر الوسيط ، المحطات السياسية ، التغيرات العمرانية ، و التحولات الاجتماعية**"،المواقف، المجلد13، العدد:1، جوان 2018، ص190.

[5] الإدريسي، المصدر السابق، ص276.

هجرته[1] ، أبسبب خرابها أم بغيره؟ ومن الملاحظ أن الحموي استعمل لفظ " دخل الأندلس " و الذي يظهر لنا أنه هجر بسبب التخريب .

يعود سبب خراب مدينة باغاية خلال العهد الزيري إلى الصراع الصنهاجي الزناتي وتحصن بعض رؤوس زناتة بها، بالإضافة إلى الهجرة الهلالية التي دمرت بعض أجزاء المدينة، التي ربما كانت سبب في هجرة بعض علمائها.

هـ طبنة :

يذكر النويري نهب وإفساد طبنة[2] خلال ذكره الحرب بين باديس بن المنصور الزيري الصنهاجي و زيري بن عطية الزناتي و حليفه فلفل بن سعيد بن خزرون ، إذ يقول "فلما علم فلفل أن باديس أبعد عن طبنة فأتى إليها فأكل و نهب و أفسد[3] " و يورد ابن عذارى هذه المعلومة بنفس اللفظ[4] .

و يظهر لنا أن الصراع الزيري الزناتي بما فيه من حروب وفتن[5] قد أثر على مدينة طبنة بالسلب نظرا لموقعها الاستراتيجي و رغبة كل طرف في أن تكون ضمن أعماله، و يمدنا ابن خلدون بمعلومات حول تخريب طبنة خلال الانتقال الهلالي[6] إلى بلاد المغرب الأوسط فيقول : "ثم طبنة و المسيلة فخربوها و أزعجوا ساكنيها ، وعطفوا على المنازل والقرى و الضياع و المدن فتركوها قاعا صفصفا أفقر من بلاد الجن و أوحش من جوف العير، وغوروا المياه و احتطبوا الشجر و أظهروا في الأرض الفساد، و هجروا ملوك إفريقية

---

[1] الحموي ،المصدر السابق،ج1،ص325.

[2] مدينة في طرف افريقية ، ببلاد الزاب ، افتتحها موسى بن نصير ، كثيرة البساتين و الزر وع و اشتهرت بزراعة الكتان،أنظر : البكري ، المصدر السابق ، ص 50 .

[3] النويري , المصدر السابق، ص 104.

[4] ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 271.

[5] جعيل أسامة الطيب ، **طبنة حاضرة إقليم الزاب و المغرب عبر العصور " دراسة تاريخية "** ، مجلة قبس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، الجزائر ، المجلد 02 ،العدد 02 ، ديسمبر 2008، ص 396 .

[6] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 27.

و المغرب من صنهاجة ، وولاة أعمالها في الأمصار، و ملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم و يقعدون لهم بالمرصاد ، و يأخذون لهم الإتاوة على التصرف في أوطانهم " . و هذا يؤكد لنا وان خراب مدينة طبنة يعود بالأساس إلى أفعال هذه القبائل العربية و ربما يكون قد أسهم في هجرة السكان منها ، و فقدان ما تبقى من مكانتها إذا علمنا أنه تراجع دورها منذ تأسيس المسيلة من طرف الفاطميين [1] بحكم التقارب الجغرافي بينهما .

2-خراب مدن إفريقية:

-القيروان :

أشار النويري إلى تخريب جزء من مدينة القيروان و ذلك خلال ذكره قتل الروافض إذ يقول ؛ " فقتل من الرافضة خلق كثير في ديارهم و حوانيتهم و احرقوهم بالنار و انتهبت ديارهم و أموالهم[2] " و كانت إقامتهم " بحومة تعرف بدرب المعلى"[3]

و من هذا يتضح لنا أن السبب الديني له دوره في خراب المدن ، فبعد مدة طويلة من الصراع السني الشيعي استطاع السنة التغلب على الشيعة و عودة بلاد المغرب إلى حاضنة السنة ، بل أكثر من ذلك بمحو آثارهم العمرانية نهائيا .

ثم يتحدث عن محاصرة العرب للقيروان و استيلائهم عليها قائلا ؛ " وفي سنة ست وأربعين حاصرت العرب القيروان ... فأشار المعز على الرعية بالانتقال إلى المهدية ، وشرع العرب في هدم الحصون و القصور ، و قلع الثمار ، و تعمية العيون ، و خراب الأنهار ... و في أول شهر رمضان نهب العرب القيروان[4] "

---

[1] موسى لقبال، **قاعدة طبنة و الشرعية الخلافية في المغرب الإسلامي**، حوليات جامعة الجزائر ،العدد 05 ،الجزائر، 1991، ص 101.

[2] النويري ، المصدر السابق ، ص 112.

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص 292.

[4] النويري ، نفسه ، ص 121.

إن الهجرات الهلالية أثرت بشكل كبير في عمران مدينة القيروان ، و يعود السبب الرئيسي للزحف على هذه المدينة إلى الخلاف بين مؤنس بن يحي الرياحي [1] و المعز بن باديس و يفصل ابن عذارى في ذلك فيقول : " ثم قدم منهم مؤنس بن يحي الرياحي على المعز ، و كان المعز كارها لإخوانه من صنهاجة محبا للاستبدال بهم ... فلطف عنده محل مؤنس هذا ... فشاوره المعز في اتخاذ بني عمه رياح جندا فأشار عليه بان لا يفعل ذلك، و عرفه بقلة اجتماع القوم على الكلمة ... فألح عليه في ذلك، إلى ان قال له المعز : إنما تريد انفرادك حسدا منك لقومك[2] " ثم خرج مؤنس إلى العرب و جمعهم فساروا نحو القيروان حتى وصلوا إلى أول قرية " تنادوا هذه القيروان و انهبوها من حينها " وأفسدوا في الطريق العمارة إفسادا كبيرا ، فلما سمع المعز بقدومهم استقبل أمرائهم و أحسن إليهم، و لما خرجوا من عنده أخذوا في شن الغارات و إفساد الزرع و محاصرة المدن، و لم يصلوا إلى القيروان بعد، و نتيجة لهذه الأوضاع قرر المعز مواجهتهم عسكريا ،" فبعث بالصريخ على ابن عمه صاحب القلعة القائد بن حماد بن بلكين فكتب أليهم بكتيبة من ألف فارس سرحهم اليه[3] " و استنجد بالقبائل الزناتية و بلغ عدد جيشه ثلاثين ألف رجل [4].

فلما رأى العرب جيش معز هالهم منظره فخطب فيهم مؤنس قائلا : " ما هذا يوم فرار ، فقالوا : أين نطعن هؤلاء، و قد لبسوا الكازغندات و المغافر؟قال : في أعينهم فسمي ذلك اليوم يوم العين و التقوا وحمي القتال ".

---

[1] الرياحي : نسبة إلى قبيلة رياح و ينتهي نسبهم عند رياح بن أبي ربيعة بن هلال بن عامر , و تعد رياح من اعز القبائل الهلالية و أشدها عصبية و أكثرها عددا , و من أشهر عشائرهم : علي بن رياح مرداس ابن رياح و لهم إقطاعات في قسنطينة و بجاية و الحضنة , انظر : بوزياني الدراجي ، **العصبية القبلية و أثرها على النظم و العلاقات في المغرب الإسلامي** , رسالة ماجيستر في التاريخ , جامعة الجزائر , 1988 , ص 285.

[2] ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص 315.

[3] ابن خلدون ، المصدر السابق ،ص 20.

[4] نفسه ، ص 21.

و يتحدث النويري عن دور الفرار من الزحف في هذه المعركة إذ يقول : " والتقوا و اقتتلوا فانهزمت صنهاجة، و ولي كل رجل منهم إلى منزله "، و انهزم المعز في هذه المعركة شر هزيمة و اختلفت المصادر في تسمية هذه المعركة، فالنويري يسميها معركة يوم عيد النحر ، و ابن خلدون يسميها حيدران و كانت في سنة 443هـ | 1052م .

و بسبب الهزيمة إعتصم المعز بالقيروان و أمر بانتهاب الزروع المحيطة بها لإبعاد العرب عنها، كما أمر بتفريغ صبرة و في ذلك يقول ابن عذارى : " و مد العبيد و رجال صنهاجة أيديهم الى خشب الحوانيت وسقائفها ،واقتلعوها و خربت العمارة العظيمة في ساعة واحدة" وهنا نرى ان المعز سبق العرب في تخريب جنبات القيروان "صبرة" من حيث لا يشعر .

ثم جاءت وقعة المصلى و فيها يقول ابن عذارى : " وذلك أن العرب دفعت إلى هذا الباب فخرج إليهم العامة، منهم بسلاح و منهم بيده عصا لا يدفع بها أضعف الكلاب، فحملت عليهم فرسان العرب فتمكنت منهم سيوفهم و رماحهم ،فتساقطوا على وجوههم و جنوبهم ولم يبقى إلا من حصنه أجله، و لم يتركوا على حي و لا ميت خرقة تواريه، و خرج أهل القتلى عند انصراف العرب فرفعوا قتالهم , فقامت النوائح و النوادب بكل جهة ... فكان هذا اليوم مصائب و أنكاد و نوائب "[1].

ويورد صاحب معالم الإيمان وصفا بالغا لخراب القيروان فيقول : " و لم يبقى بها دار إلا دخلت، حتى نزلت آبارها، و هدم ما اتهم أن فيه مخبئا منها، و بقيت خالية لا أنيس بها، وأهلها قد ذهلت عقولهم، و زهقت نفوسهم و فر الخليل عن خليله، و اشتغل كل بنفسه، و لم يبقى بالقيروان غير رجل واحد حمال يعرف بعبود طالع صومعة جامعها وأقام بها مدة خلائها .

[1] ابن عذارى , المصدر السابق , ص 313

نرى أن خراب القيروان هو اكبر خراب تعرضت له مدن المغرب خلال العهد الزيري بل و خلال العصر الوسيط .

المهدية:

ذكر النويري تخريب المهدية خلال ولاية الحسن بن علي بن تميم فيقول : " ودخل الفرنج البلد بغير مدافع ، و دخل جرجي القصر فوجده على حاله لم يأخذ منه الحسن شيئا إلا ما خف من ذخائر الملوك ، ووجد فيه عدة حظاياه ، و رأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفسية ، و من كل شيء غريب فختم عليه، و جمع سراري الحسن في قصر ولما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين"[1] .

كما أن أهلها و أعيانها قد تركوها خوفا من الفرنجة فقال : " و أمر في الحال بالرحيل و أخذ معه ما خف حمله وخرج الناس على وجوههم بأهلهم و أولادهم و ما خف من أموالهم و أثاثهم و من الناس من اختفى عند النصارى وفي الكنائس"[2]

ويعود سبب هذا الغزو إلى تتابع الغلاء في جميع بلاد المغرب ، فهاجر الناس إلى جزيرة صقلية، و انتشرت المجاعة و كثر الموت استغل رجار هذه الفرصة ،و يسمى ابن عذارى هذه الواقعة بكائنة يوم الاثنين و الأجنة التابعة لضاحية الحمى الواقعة غربي المدينة[3].

و مما يظهر لنا أن التخريب الفرنجي قد أضر بالمدينة ، أكثر من تخريب العرب الذين ربما أهملوا خرابها بسبب التوسع غير بالحو المقرب الأوسط.

---

[1] النويري ، المصدر السابق، ص137 .

[2] نفسه، ص 138.

[3] روجي إدريس ، المرجع، ص 57

طرابلس:

يورد النويري معلومات حول خراب طرابلس حيث يقول: "ملك الفرنج مدينة طرابلس الغرب و ذلك في سنة إحدى و أربعين و خمس مائة و سبب ذلك أن رجار صاحب صقلية جهز أسطولا كبيرا و سيره إليها ... و كان سبب ذلك أن أهل طربلس كانوا قبل وصول الفرنج بأيام المسير قد اختلفوا و أخرجت بنوا مطروح[1] طائفة.....فلما نازلهم الفرنج أغارت تلك الطائفة على بني مطروح فوقعت الحرب بين الطافتين، فانتهز الفرجة الفرصة،و نصبوا السلالم و صعدوا على السور و ملكوا المدينة فسفكوا دماء أهلها و سادوا ونهبوا أموالهم".

ولم نقف على ذكر دخول العرب لطرابلس عند النويري،و تخريبها و ربما يعود لوقوعها في الطريق إلى القيروان فأهمل ذكرها ، وذكر تخريبها من طرف الفرنجة لأنهم شعب تعلق بالبحر فأجازوا إلى سواحل إفريقية و سيطروا على مدنها و من بينها طرابلس.

[1] بنو مطروح: من وجهاء طرابلس، و كانوا من أنصار أسرة ال خزرون الزناتيين ولاة طرابلس، انظر: الطاهر أحمد الزاوي، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، دار المدار الإسلامي، بيروت،2004، ص ص 236،237.

الخاتمة:

بعد دراستنا لموضوع عمارة المدن وخرابها على عهدي الدولتين الزيرية والحمادية من خلال مصنف النويري خلصنا إلى مجموعة من النتائج منها :

_ يعد شهاب الدين النويري أحد المؤرخين المشارقة الذين دونوا تاريخ بلاد المغرب الإسلامي خلال الحقبة الوسيطية من خلال مصنفه الأدبي الموسوم ب "نهاية الأرب في فنون الأدب".

_ ساهمت الظروف السياسية والثقافية خلال عهد الدولة المملوكية في تكوين شخصية النويري وظهور حركة التصنيف و الموسوعات.

_نتج عن الإنتقال الفاطمي إلي مصر ظهور الدولة الزيرية.

_ أفرز الصراع داخل البيت الزيري ظهور الدولة الحمادية واستقلالها ببلاد المغرب الأوسط.

_ تعد عمارة المدن أحد أركان الملك و مظهر مهم يدل علي تحضر الدول.

_ تم تعمير مدينة أشير من قبل الأسرة الزيرية وعرفت عدة أنواع من العمارة : فالعمارة المدنية كبناء الأسوار، و حفر الخنادق حولها ، والعمارة البشرية تمثلت في نقل وجوه الناس إليها من مختلف المدن ، وعمارتها الاقتصادية تمثلت في ضرب السكة بها ، وتدخل عمارتها في إطار التنافس الحضاري بين قبيلتي صنهاجة وزناتة.

_ عمرت مدينة المحمدية(المسيلة) بحكم موقعها الجغرافي ولتأديتها بعض الوظائف العسكرية ، كجعلها قاعدة متقدمة لمحاربة زناتة من طرف الأمراء الزيريين.

_ ساهمت الهجرات الهلالية بطريقة غير مباشرة في تعمير الناصرية حتى أصبحت حاضرة الحماديين.

_ عرفت قلعة حماد عمارة ثقافية علمية خلال عهد بني حماد قل نظيرها في الحواضر المغربية أنذاك.

_ ساهم العامل السياسي و المذهبي في تأسيس مدينة المهدية و تحصينها على العهد الفاطمي، و استفاد الزيريون منها ، فأضافوا تحصينات دفاعية لها ، و استفادت من الهجرات الهلالية بإنتقال السكان إليها.

_ عمرت مدينة القيروان بحكم كونها العاصمة السياسية والاقتصادية للدولة الزيرية.

_ ساهم الغزو الفرنجي بطريقة غير مباشرة في عمارة طرابلس الغرب.

_ عدت ظاهرة الخراب صفة ملاصقة لبعض مدن المغرب.

_ ميزنا عدة أسباب لخراب مدن الدولتين الزيرية والحمادية منها: الصراع الزيري الحمادي، والتنافس الصنهاجي الزناتي ،والصراع السني الشيعي الإسماعيلي ، والانتقال الهلالي، والغزو النورماني، وكذا التوسع الموحدي.

_ ساهم الصراع الزيري الحمادي خلال هذه الفترة ، في إحادث تخريب جزئي للمدن التالية : طبنة و باغاية.

_ أفرز الصراع السني الشيعي الإسماعيلي الانتقال الهلالي، والذي ساهم حسب بعض المؤرخين في بعض مدن افريقية والمغرب الأوسط و منها :المهدية ، طبنة ، القيروان ، المسيلة .

_ نتج عن الغزو النورماني تخريب مدن طرابلس والمهدية.

_ ساهم التوسع الموحدي في انهيار بعض المدن و منها القلعة.

_تعددت أساليب الخراب بين السلب والنهب والحرق والتدمير حسب النويري .

_ توصلنا إلى أن خراب مدينة يساهم بطريقة غير مباشرة في عمارة مدينة أخرى، و مثال ذلك خراب القلعة وعمارة الناصرية ،وكذا خراب ميلة وعمارة باغاية.

_ أمدتنا كتب التراجم والطبقات بمعلومات حول ظاهرتي العمارة والخراب وذلك بعد عملية استنزاف نصوصها، وتوظيفها في عملية ترقيع النص التاريخي الخاص بالمدن.

_ ولا تزال هذه الدراسة تحتاج إلى دراسات أخرى، و لباحثين آخرين و التي قصرنا فيها نظرا لقلة المادة التاريخية .

الملاحق

الملحق رقم 01: عمارة مدينة أشير حسب المؤلف[1]

ولما نظر زيري إلى موضعها قال لأصحابه : ((هذا موضعكم الذي يصلح أن تسكنوه)) وذلك في سنة أربع و عشرين و ثلاث مائة أيام القائم بأمر الله بن المهدي . وأمر زيري بإحضار البنائين و النجارين من حمزة و المسيلة وطبنه ...و بعث إلى القائم بأمر الله في طلب الصناع ....وشرع زيري في البناء إلى أن كملت المدينة ....ثم خرج إلى طبنة و المسيلة وحمزة ، فنقل منها وجوه الناس إلى مدينة أشير ، فعمرت و جاءت حصنا منيعا ...و امتلأت البلد بالعلماء و الفقهاء و التجار ....فضرب زيري السكة ...فكثرت الدنانير والدراهم في أيدي الناس ....و اطمئنت نفوس أهل البادية للحرث والزراعة.

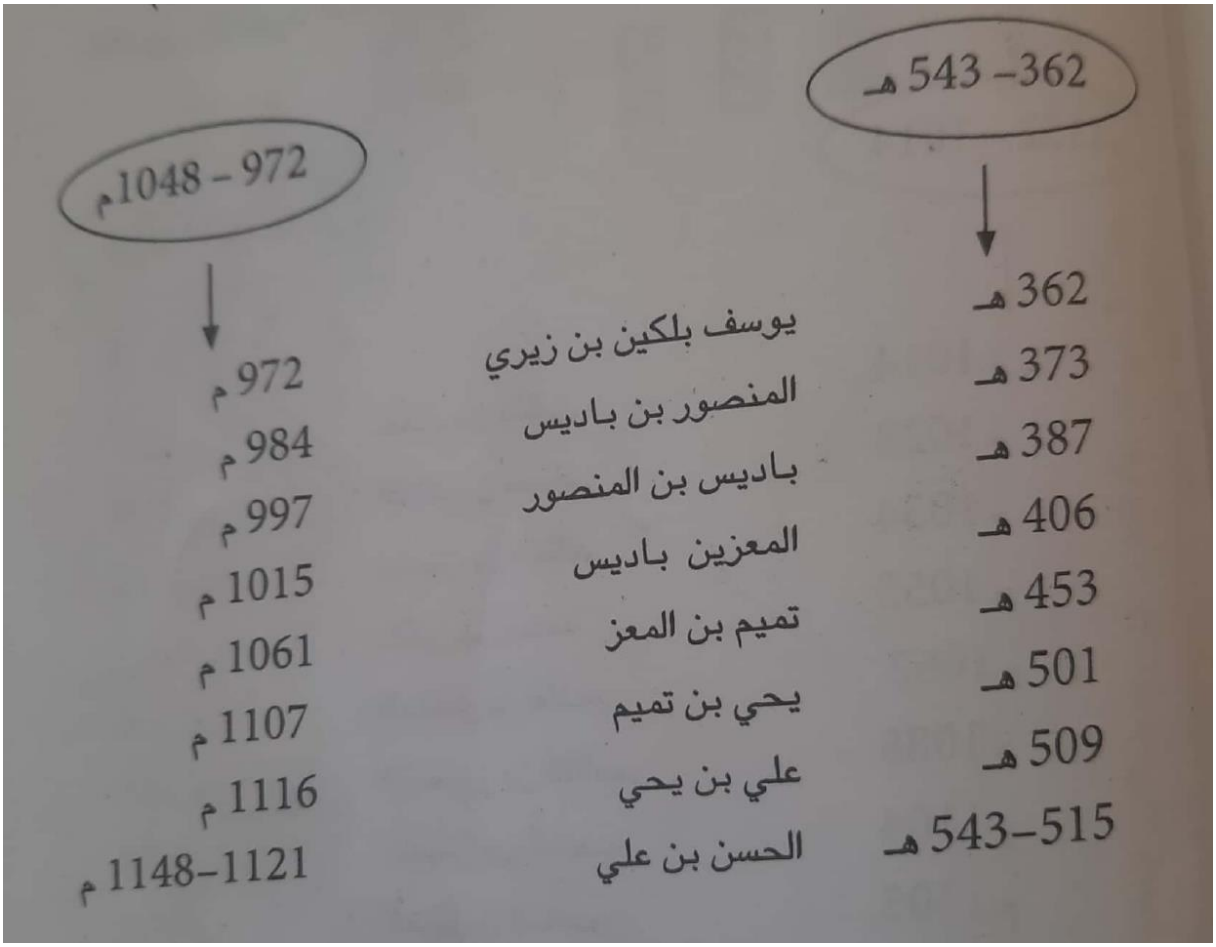
[1] النويري، المصدر السابق، ص ص 88-89.

الملحق رقم 02: تخريب مدينة ميلة[1]

فسار المنصور حتى وصل إلى بلاد كتامة، و تثاقل في سيره....فلما قرب من ميلة عزم على قتل أهلها ، فخرج إليه النساء و الأطفال فلما رآهم بكى و كف عن القتل، و نهبت العساكر كل ما فيها ، و أمر بهدم سورها فهدم و نقل أهلها إلى باغاية. فاجتمعوا و مضوا إليها...ثم رحل المنصور إلى داخل بلد كتامة ، فجعل لا يمر للكتاميين بمنزل و لا قصر و لادار إلا أمر بهدم ذلك و تحريقه بالنار...

[1] النويري، المصدر السابق، ص 101.

الملحق رقم 03: أمراء الدولة الزيرية[1]



[1] هيصام، الجيش الجزائري، ص 149.

الملحق رقم 04: أمراء بني حماد[1]



[1] هيصام، الجيش الحمادي، ص 150.

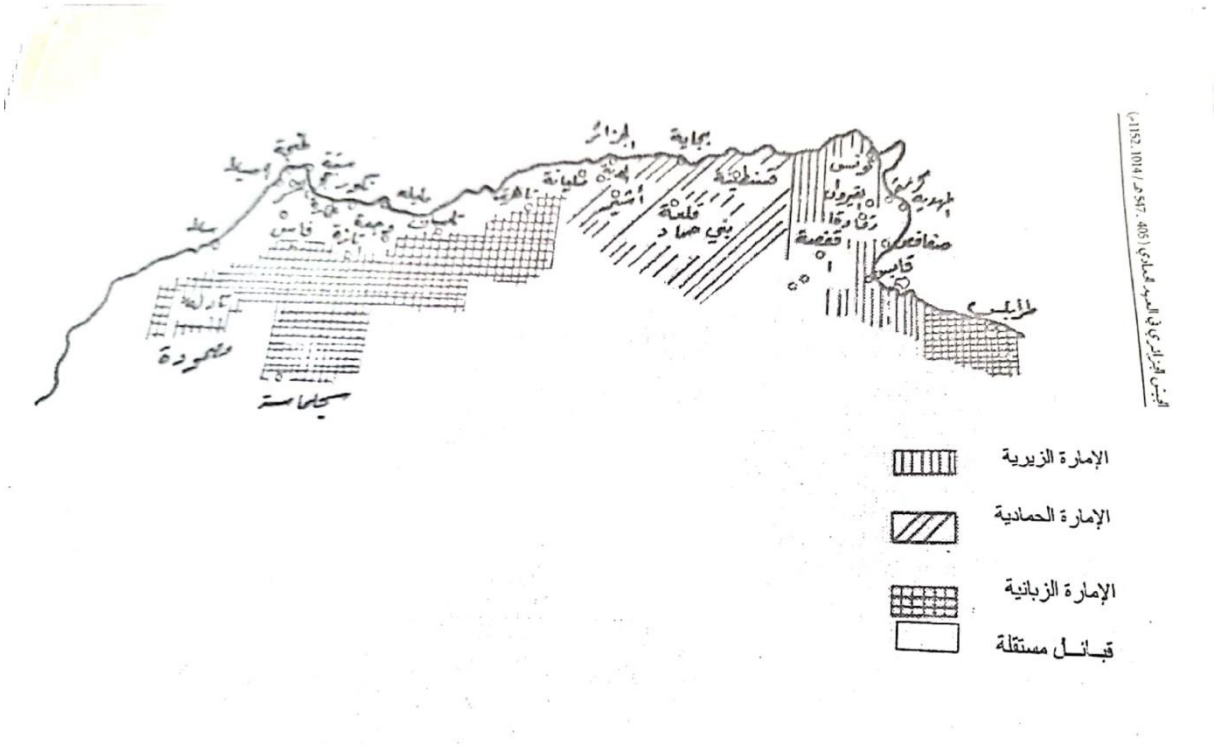
ملحق 05: المدن التي تم عمارتها حسب النويري:

عمارة المدن			
المدن	**نوع العمارة**	**الدولة**	**سبب العمارة**
أشير	مادية + بشرية +ثقافية	الزيرية	كونها عاصمة + محاربة زناتة
المحمدية	مادية	الزيرية	محاربة زناتة + الصراع مع الحماديين
الناصرية	مادية +بشرية + ثقافية	الحمادية	عاصمة بني حماد
قلعة حماد	بشرية + مادية + ثقافية	الحمادية	مواجهة زناتة + عاصمة الحماديين
المهدية	إقتصادية + مادية	الزيرية	مواجهة الغزو النورماني
المنصورية	مادية	الزيرية	عاصمة الزيريين + مواجهة الهجرات الهلالية
طرابلس	مادية + بشرية	الزيرية	مواجهة الفرنجة + مواجهة الجيش الزيري
القيروان	مادية +بشرية +اقتصادية +ثقافية	الزيرية	عاصمة الزيريين +مواجهة الجيش الحمادي + مواجهة الهجرات الهلالية

الملحق رقم 06: المدن المخربة حسب النويري :

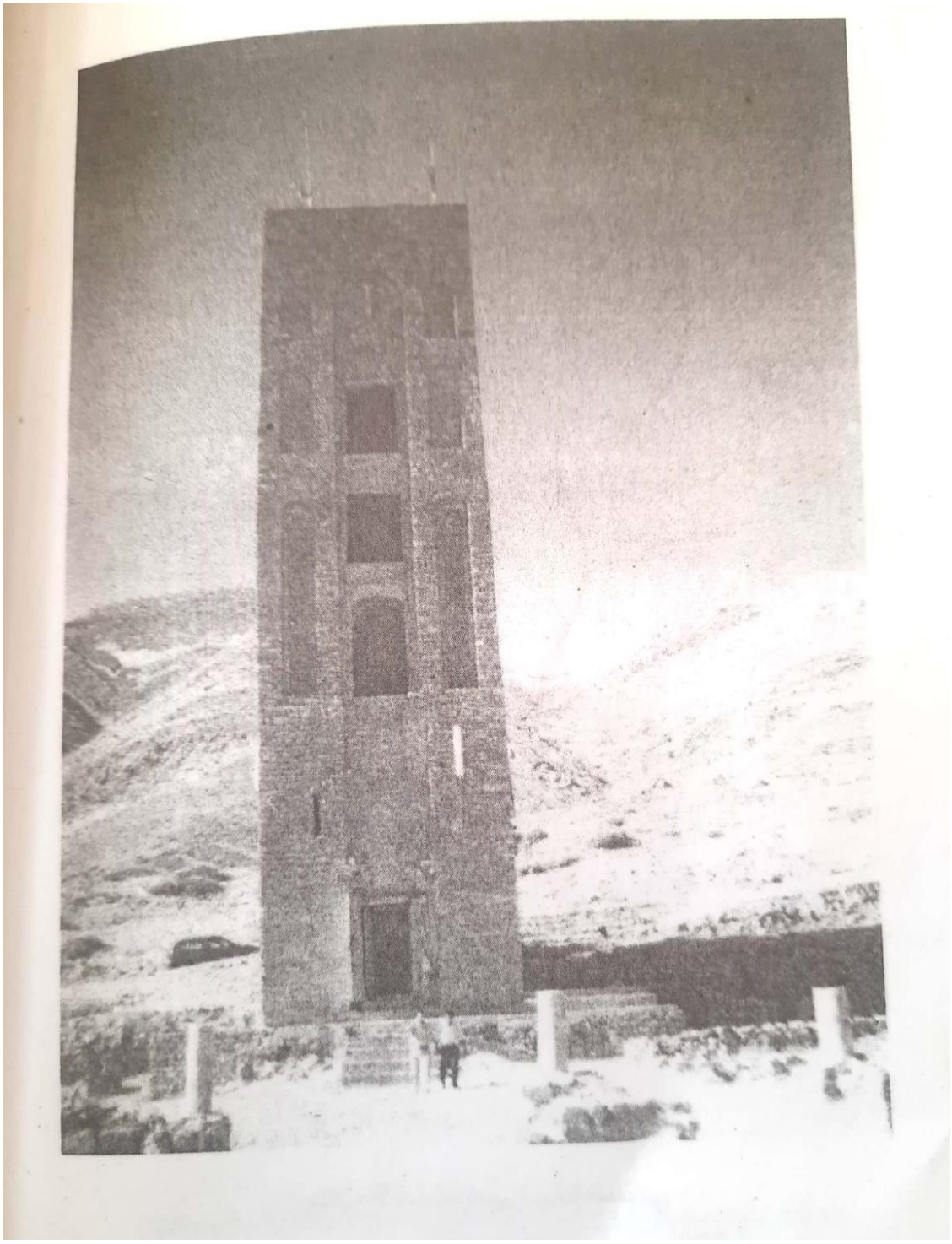
خراب المدن		
المدن	**نوع الخراب**	**سبب الخراب**
قلعة حماد	مادي + بشري +ثقافي + إقتصادي	السيطرة الزيرية + الهجرات الهلالية + التوسع الموحدي
تيهرت	مادي	الصراع الزناتي الصنهاجي
طبنة	مادي	الصراع الصنهاجي الزناتي + الهجرات الهلالية
القيروان	بشري + مادي + ثقافي + إقتصادي	الهجرات الهلالية
المهدية	مادي	الغزو الفرنجي
طرابلس	مادي	الغزو الفرنجي
بغاية	مادي + بشري	تمرد سكان المدينة
كتامة " ميلة "	مادي	الصراع الشيعي الزيري + الصراع الصنهاجي الكتامي

الملحق رقم 07: خريطة توضح أوضاع بلاد المغرب خلال القرن 12 ميلادي[1]



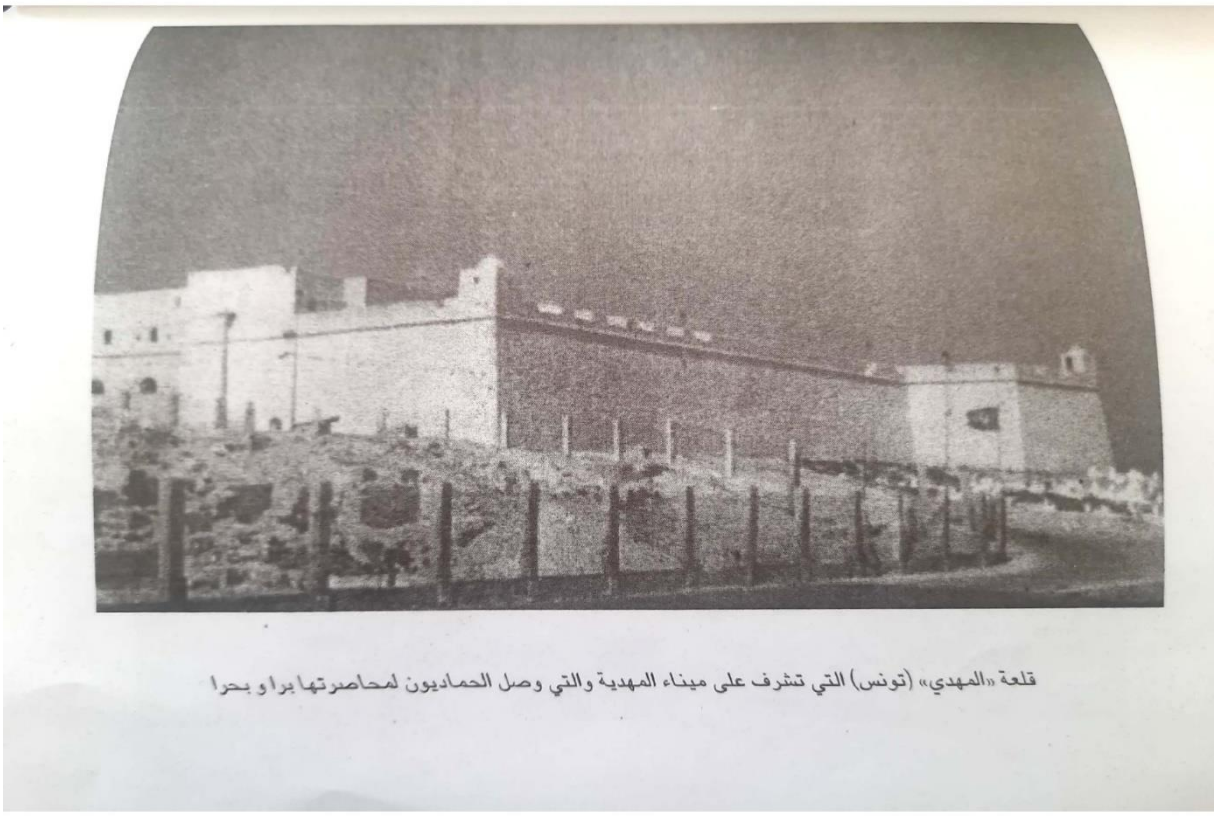
[1] هيصام، الجيش، ص 151.

الملحق رقم 08: صورة لمنظر أمامي للقلعة[1]



[1] هيصام، الجيش، ص 156.

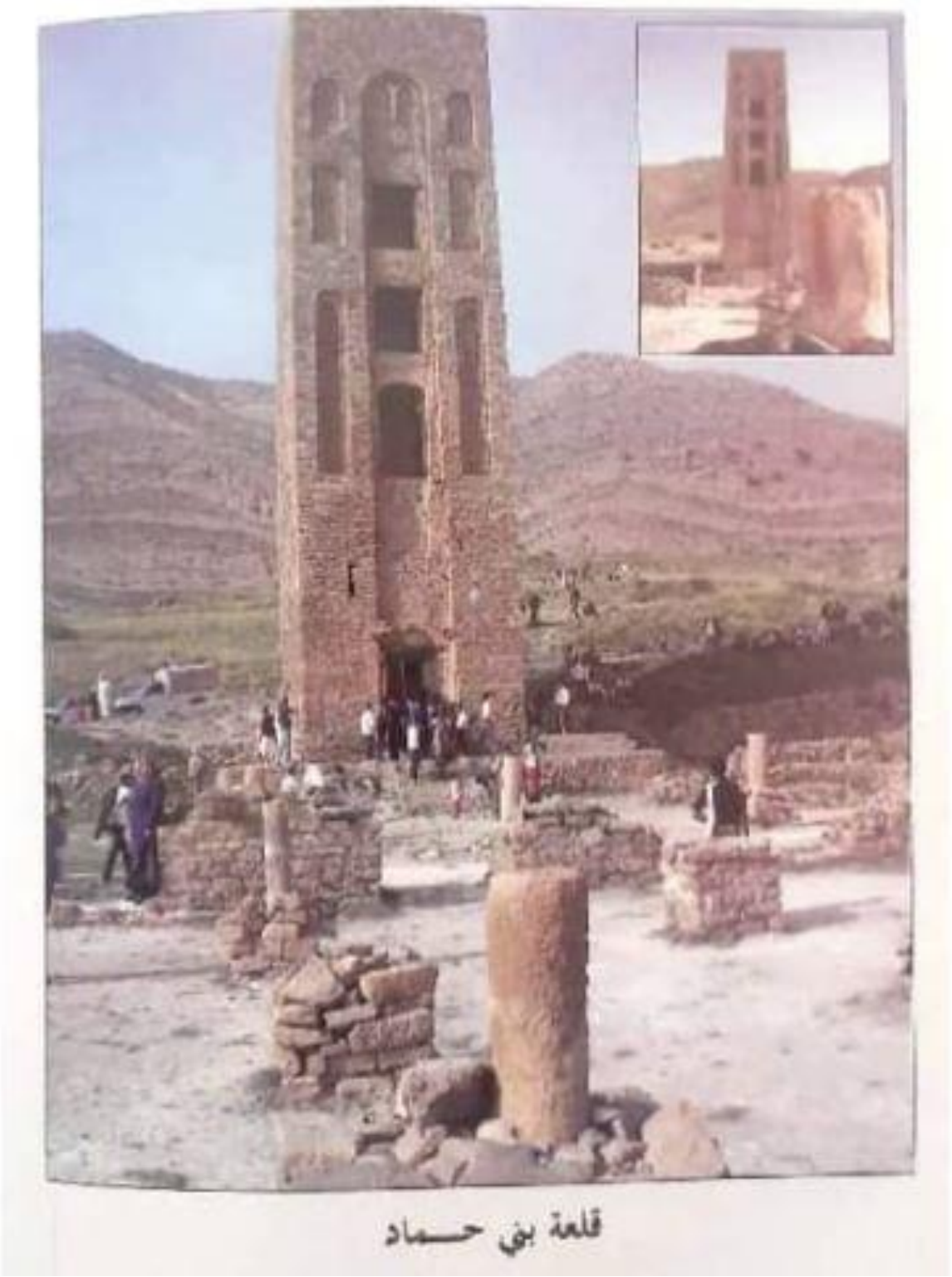
الملحق رقم 09: صورة لسور مدينة المهدية[1]



قلعة «المهدي» (تونس) التي تشرف على ميناء المهدية والتي وصل الحماديون لمحاصرتها برا و بحرا

[1] هيصام، الجيش، ص 160.

الملحق رقم 10: قلعة بني حماد[1]



قلعة بني حـــماد

[1] حساني مختار، الحواضر والأمصار، ص 336.

قائمة البيبليوغرافيا

المصادر:

القرآن الكريم

1. الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله الشريف ، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،** مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 2002
2. الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن ياقوت البغدادي،(ت 626هـ)، **معجم البلدان،** دار صادر، بيروت ،1977 .
3. الأدفوي أبو الفضل كمال الدين جعفر ، **الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد،** تح سعد محمد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966.
4. ابن الأزرق أبوعبد الله ،(ت896هـ/1491م)،**بدائع السلك في طبائع الملك** ،تح محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب،1977 .
5. ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،** ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1942.
6. ابن جبير محمد بن أحمد (ت 614هـ)، **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة المناسك رحلة ابن جبير،** دار صادر، د ت.
7. ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، **صورة الأرض،** دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992 .
8. ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر، **ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،** دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1961.
9. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت سنة 748هـ)، **سير أعلام النبلاء،** ط1، تح: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة 1996 .
10. السبكي تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى،** تح: محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو، دار احياء الكتب العربية، 1964 .
11. السيوطي جلال الدين عبد الرحمان ، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة،** تح محمد أبو الفضل، دار احياء الكتب العربية، د م، ط 1967 .

12. الصفدي صلاح الدين خليل بن أبيك (ت 674هـ)، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تح: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق سورية، ط 1998.
الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك ، **الوافي بالوفيات**، تح، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 2000 .
13. الصباغ عبد الرحمان بن محمد أبو زيد ، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تح، محمد صور، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1978
14. ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد (ت سنة 712هـ)، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح: بشار عواد محمد بشار، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2013 .
15. العسقلاني ابن حجر شهاب الدين احمد بن علي ،**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة** ، دار المعارف ، الهند ،1931.
16. بغدادي إسماعيل باشا ، **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، وكالة المعارف، إسطنبول، 1951.
17. علاء الدين علي رضا، **نهاية الاغتباط بمن رمي من الرواة بالاختلاط**، دار الحديث، القاهرة، 1988.
18. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد ، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، المطبعة الثعالبية ،الجزائر، ط1910 .
19. أبو الفدا عماد الدين إسماعيل ، **المختصر في أخبار البشر**، تح محمد زينهم عزب، دار المعارف، د ت.
20. ابن فرحون المالكي (ت 839هـ)، **الديباج للمذهب في معرفة أحداث علماء المذهب**، تح: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، د ت.
21. ابن كثير إسماعيل الدمشقي (ت 774هـ)، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، 1990ط، ج 10.
22. مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، دار النشر المغربية، دار البيضاء، 1985 .

23. المراكشي عبد الواحد ، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** ،مطبعة الاستقامة ، القاهرة ،ط1949.
24. المقدسي محمد بن أحمد البشاري ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.
25. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي ،**اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الخلفا** ، مطابع الأهرام التجارية، قليوب ، بمصر ،دت.
26. المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد بن القاضي، ذيل **وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال**، مكتبة دار التراث، القاهرة،ط 1977.
27. ابن منظور هشام بن محمد بن السائب الكلبي(ت 604هـ)، **جمهرة النسب**، ط1، تح: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986.
28. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط 2004.

المراجع:

1. أبو ضيف مصطفى أحمد، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط**، من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1984.
2. بن عميرة محمد ، **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1987
3. بورويبة رشيد ، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1977

بورويبة رشيد ، **مدن مندثرة تاهرت، سدراته، أشير، قلعة بني حماد**، داو بني مرابط، دت الجزائر.

4. بونار رابح ، **المغرب العربي تاريخه و ثقافته** ، البصائر الجديدة للنشر، الجزائر ، ط 2019 .
5. جيلالي عبد الرحمان ، **تاريخ الجزائر العام**،دار مكتبة الحياة ،الجزائر ،ط1965

6. روجي الهادي ادريس، **الدولة الصنهاجية تاريخ افريقية في عهد بني زيري من القرن 10 إلى القرن 12م**، ط1، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1992.
7. الزاوي الطاهر أحمد ، **تاريخ الفتح العربي في ليبيا**، دار المدار الإسلامي، بيروت،2004.
8. زركلي خير الدين ، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربين و المستشرقين** ،دار العلم ،لبنان ، ط 1986.
9. طمار محمد ، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
10. عاشور سعيد عبد الفتاح ، **العصر الممالكي في مصر والشام**، ، دار النهضة العربية، القاهرة، ط1976.
11. عبد الحليم الندوي، **منهج النويري في كتابه نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، دار الفكر، دمشق سورية، 1987 .
12. عربي إسماعيل ، **دولة بني حماد ملوك قلعة وبجاية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
13. عمارة علاوة ، **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر و الغرب الاسلامي** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2008.
14. عويس عبد الحليم ، **دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري**، ط2، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1991.
15. قمي عباس ، **الكنى والألقاب**، مكتبة الصدد، طهران، د ت.
16. كراتشكوفسكي اغناطيوس، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر صلاح الدين عثمان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1963.
17. لقبال موسى ، **دور كتامة فيتاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1979.
18. نويهض عادل ، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، مؤسسة نوهض الثقافية، بيروت، ط1980.

19. هيصام موسى ، **الجيش الجزائري في العهد الحمادي(405-547هـ/1014-1152م)**،مديرية الثقافة لولاية المدية،2000.

20. يوسف جودت عبد الكريم ، **الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب** الأوسط خلال **القرنين الثالث و الرابع الهجريين (9-10م)** ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.

الرسائل الجامعية:

1. بوعقادة عبد القادر ، **الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين 7و9هـ**،أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر،2015/2014.
2. بوقاعدة البشير ، **خراب المدن بالمغرب الأوسط و الأدنى بين 290 هـ/909م-1152/547م**،مذكرة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة ،بوزريعة ،2012-2013.
3. دراجي بوزياني ، **العصبية القبلية و أثرها على النظم و العلاقات في المغرب** الإسلامي ، رسالة ماجيستر في التاريخ، جامعة الجزائر ،1988 .

المجلات:

1. بريك الضاوية ، **الحياة الفكرية في القيروان خلال العهد الصنهاجي الزيري**، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، العدد 25.

2. جعيل أسامة الطيب، **طبنة حاضرة إقليم الزاب و المغرب عبر العصور " دراسة تاريخية**، "مجلة قبس للدراسات الإنسانية و الاجتماعية ، الجزائر ، المجلد 02 ، العدد 02 ، ديسمبر 2008.
3. الديلمي عامر حمد جدعان ، **حياة شهاب الدين النويري ومنهجه في كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 73، كانون الثاني 2020.
4. كرطالي أمين ،"**مدينة باغاية خلال العصر الوسيط، المحطات السياسية، التغيرات العمرانية، و التحولات الاجتماعية**"،المواقف،المجلد13،العدد:1، جوان 2018.
5. لقبال موسى ، **قاعدة طبنة و الشرعية الخلافية في المغرب الإسلامي** ، حوليات جامعة الجزائر ، العدد 05 ، الجزائر ، 1991 .

6. هيصام موسى ، **أشير المدينة والعاصمة تأثيرها السياسي وإشعاعها الحضاري على ما جاورها**، المجلة المغاربية للمخطوطات، مج 2، ع1، جامعة جزائر 2، الجزائر، 2011.

العنوان	الصفحة
البسملة	
شكر و عرفان	
الإهداء	
مقدمة	01
المبحث الأول التعريف بالكاتب و الكتاب و الدولتين الزيرية و الحمادية	**07**
1-ترجمة المؤلف	**08**
أ-سيرته الذاتية	**08**
ب-سيرته العلمية	**11**
ج-عصره السياسي و الثقافي	**15**
2-ترجمة المصنف	**18**
أ-الدراسة الظاهرية	**18**
ب-الدراسة الباطنية	**18**
ج- أهمية المصنف	**24**
3-التعريف بالدولتين الزيرية و الحمادية	**25**
أ-الدولة الزيرية	**25**
ب-الدولة الحمادية	**28**
المبحث الثاني: تأسيس المدن و عمارتها	**31**
1-مدن المغرب الأوسط	**32**
أ-أشير	**32**
ب-المحمدية	**37**
ج-الناصرية	**38**
د-قلعة بني حماد	**40**
2-مدن المغرب الأدنى	**42**
أ-المهدية	**42**

ب–المنصورية	**44**
ج–طرابلس	**45**
د–القيروان	**46**
المبحث الثالث: تخريب المدن	**49**
1–خراب المدن المغرب الأوسط	**50**
أ–قلعة بني حماد	**50**
ب–ميلة	**53**
ج–تيهرت	**56**
د–باغاية	**58**
هـ–طبنة	**59**
2–خراب مدن إفريقية	**60**
أ–القيروان	**60**
ب–المهدية	**63**
ج–طرابلس	**64**
خاتمة	**65**
ملاحق	**62**
قائمة البيبليوغرافيا	**78**
الفهرس	**83**